

40

# روايات عالمية للجيب



Looloo

www.dvd4arab.com



مفهوم: ج. ك. تشيسترتون  
ترجمة: د. أحمد خالد توفيق

## الرجل الذي كان الغائب



## المؤلف

(جلبيرت كيث تشستر تون)

كاتب إنجليزي موهوب ولد  
في لندن عام 1874 . كتب  
في جميع ألوان الأدب ،  
وكانت آراؤه الغربية الخشنة  
- في بداية حياته - مصدر  
جذب لكتاب متمردين على  
غرل (برنارد شو) و(ويلز) .



كتب سيراً بالغة الأهمية ، كما كتب قصصاً بوليسية  
شهيرة جداً ، بطلها (الأب برلون) وهو قس كاثوليكي  
يملك مواهب لتحرى الجنائي ، وقد قيمتها الإذاعة هناك  
مراراً ، ولعل أكثر قراء الإنجليزية لا يعرفونه إلا من  
خلال هذه القصص المسلية . لكن أشهر ما كتب رواية  
(نابليون نوتج هيل - 1904) وهي من نوعية الخيال  
المستقبلي ، ورواية (الرجل الذي كان الخميس - 1908)  
وهي القصة التي نقدمها لك اليوم .

## روايات عالمية للحب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب  
العالمي ، في مختلف صنوفه ..  
من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..  
من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..  
من الفروسة إلى دنيا الأساطير ..  
ومن الشرق إلى الغرب ..  
وإلى الحضارة ..  
وإليك ..

د. نبيل فاروق

## من أهم أعمال تشسترتون :

- المهبطون 1905
- ما الخطأ في العالم ؟ 1910
- القديس توما الإكويني 1933
- خرافة الطلاق 1920
- ظهر الأب براون 1911
- عراف الكلب 1927
- الرجل الذي كان الخميس 1908
- كيف وجدت السوبرمان 1909
- الرجل الذي عرف أكثر من اللازم 1922
- للعشاق فقط 1911

كانت آراؤه السياسية فريدة ، وابتدع مذهباً عجيباً هو أقرب إلى الاشتراكية ، أطلق عليه اسم ( التوزيعية ) Distributionism على أساسه يجب أن يملك كل إنسان ثلاثة فداين وبقرة ! ويقال إن مقالة واحدة له حركت مشاعر غاندي وجعلته يعمل جاهداً من أجل استقلال الهند . هاجم حرب البوير التي كانت كل بريطانيا تؤيدها غير مبال بصدامه مع الرأي العام ، وكتب كتابه ( الإيوجينيا وشروط أخرى ) يهاجم ( الإيوجينيا ) ( وهي المعادل القديم للاستنساخ بهدف خلق جنس أرقى وأفضل ) ، وكان هذا في وقت آمن فيه الجميع بأن مستقبل البشرية يكمن في الإيوجينيا ، حتى كانت تغزو ديناً جديداً . وكما اشتهر في البداية بتمرده ؛ اشتهر في أواخر أيامه بالتحفظ والدفاع عن الدين والعقيدة الكاثوليكية . وقد كتب في الدين كثيراً ومن أشهر كتب هذه الفترة ( الإنسان الخالد ) و ( المهبطون ) .

وتوفي ( تشسترتون ) عام 1936 بعدما نشر في حياته 69 كتاباً ما زال أكثرها مقروءاً وعظيم الشعبية حتى اليوم .



## الفصل الأول

### شاعرا حديقة الزعفران

كانت ضاحية حديقة الزعفران تمتد غربى (لندن) ،  
حمراء كسحابة ساعة الغروب . كانت مبنية من قرميد  
لامع ، خرجت من عبقرية مهندس معمار مزج عمله  
بشيء من الفن . وكان الناس يصفونها بأنها مركز  
للفنون برغم أنه ما من عمل فنى خرج منها قط .. لكن  
ما من أحد جادل فى أنها مكان مبهج خلاب . لم يكن  
المكان مبهجاً فقط بل كان مكتمل الروعة ، وإن كان  
سكاته ليسوا فنانيين كما يزعمون ، فإن المكان كله  
يبوح بالفن .

مثلاً هذا الشاب ذو الشعر المحمر والوجه المتهكم ، لم  
يكن شاعراً لكنه كان قصيدة فى حد ذاتها .. وهذا  
الشيخ ذو اللحية البيضاء الذى يكذب بوقار ، لم يكن

فيلسوفاً لكنه كان يلهم الآخرين بالفلسفة .. و.  
العالم المدعى ذو الضيق الطويل الرفيع ، لم يكتشف  
شيئاً جديداً فى علم الأحياء ، لكن أى شيء يمكن أن  
يكتشفه أفضل منه هو ؟ هكذا يجب أن ننظر للمكان  
ليس كورشة عمل للفنانين ، ولكن كعمل فنى متكامل .  
وكان هذا التأثير يتضح بالذات ليلاً حين تتلقى الأسطح  
بالأضواء كأنها سحابة مارقة ، وتضاء المصابيح للصينية  
على الدور كأنها فاكهة خيالية . بل كان هذا التأثير  
يتضح أكثر حين يلعب الشاعر ذو الشعر للضارب إلى  
الحمرة دور البطولة ..

كنت تسمع صوته الوعظى يتكلم مع الرجال وبخاصة  
النساء . وكانت نساء هذا المكان نموذجاً للطراز  
التحررى الذى يجاهد من أجل التحرر من سطوة  
الرجال ، لكنهن كن يعطين للرجال خدمة لا تمنحه إياها  
أية امرأة فى العالم : كن ينصتن له حين يتكلم . وكان  
مستر (لوشيان جريجورى) - الشاعر ذو الشعر  
الضارب إلى الحمرة - بحق رجلاً يستأهل أن تصفى  
إليه ، حتى لو كنت مستضحك منه فى النهاية . كان



مصره الغريب لافتاً للنظر بحق ؛ فشعره البنى المفروق  
من المنتصف كالتساء ، ينساب في خصلات مجمدة  
كعذراء من عصر ما قبل رافايل . بينما ذقته تبرز  
للأمام في تعبير يوحى بالازدراء . كان يبدو مزيجاً  
من ملاك وقرود معاً ..

كانت هذه الليلة بالذات تمتاز بغرابة غروبها ،  
الذى بدا كأنه نهاية العالم . كل السماء مكسوة  
بريش أحمر .. ريش يوشك أن يلمس وجهك ،  
ويمتزج امتزاجاً لا يصدق بالبنفسجى والقرمذى  
والأزرق ، جمال لا يمكن أن تصدقه . والغريب أنه  
بدا دائياً جداً ، حتى لتشعر بأن السماء نفسها أقل  
حجماً من طبيعتها .

قلت : إن هناك من سيتذكرون هذه الليلة فقط لغرابة  
سمائها ، ولكن آخرين سيتذكرونها لأنها شهدت مجيء  
الشاعر الثانى إلى حديقة الزعفران . لقد كان نو الشعر  
المحمر وحيداً حتى ظهر للشاعر الثانى الذى يطلق على  
نفسه اسم ( جابريل سليم ) . وقد أثبت حضوره بالجدال

مع الشاعر الأول ( جريجورى ) حول طبيعة الشعر .  
فقد وصف نفسه بأنه شاعر للقوانين .. شاعر الاحترام ..

قال ( جريجورى ) بأسلوبه الغنائى :

- « ربما فى ليلة كهذه زاخرة بالألوان الوحشية  
والغيوم ، تأتى لنا أعجوبة اسمها الشاعر المحترم ..  
تقول إنك شاعر للقوانين ، وأنا أرى تنلقضاً مخيفاً فى  
هذا ، حتى إننى لا أفهم لماذا لم تمتلئ السماء بالشهب  
تحية لقنومك .. إن الفنان يشبه النثر الفوضوى ، والفوضوى  
يشبه الفنان<sup>(\*)</sup> .. من يقذف قنبلة هو فنان لأنه يفضل  
لحظة عظيمة على أى شىء آخر .. إنه يفضل لحظة  
من صوت الرعد أو وميض البرق على وجوه مجموعة  
من رجال الشرطة لا يمتازون بشىء .. الشاعر الحق  
يرفض كل القوانين ويتحدى كل الأنظمة ، ولو لم يفعل  
فإن أكثر الأشياء شاعرية فى ( لندن ) هو مترو الأنفاق ..

(\*) فى زمن قصة كتبت لحركة الفوضوية ANARCHISM فى  
نروتها ، وهى حركة بدأها الفيلسوف الفرنسى ( برودو ) ، وتقضى برفض  
كل أنواع الحكومات وتدعو إلى الفردية بكل صورها . كان من أقطاب  
الفوضوية بعض المخربين مثل ( كروبوتكين ) و ( بوكوتين ) السوفيتيين .  
وقد ساعدوا على جعل لفظة ( فوضوى ) مقترنة بالإرهاب ..



« هل تعرف لماذا يبدو الموظفون في محطة القطار بهذا الاكتئاب ؟ لأنهم يعرفون أنه لا تغيير في حياتهم .. بعد ( سلون ) يصل القطار إلى ( فكتوريا ) .. لا شيء سوى ( فكتوريا ) .. كل شيء يسير بنظام .. كل شيء مضمون ورتيب .. وبالفراحتهم لو فوجئوا أن محطاتهم التالية هي ( بيكر ستريت ) 11 »

« أنت من يفتقر إلى الشاعرية .. إن الفوضى عمل ممل سخيف .. ليست المعجزة في أن يصل القطار إلى مكان غير مقصود مثل ( بيكر ستريت ) أو حتى ( بغداد ) .. الشاعرية هي الإنسان الذي يسيطر على وحش كالقطار .. يقرر أن يتجه به إلى ( فكتوريا ) وينجح في ذلك ! »

وأردف ( سايم ) في حرارة :

« دعني أقل لك إنه في كل مرة يصل فيها القطار للمحطة ، أشعر بأن الإنسان انتصر في معركته ضد الفوضى .. وحين أسمع كمساري القطار يصيح ( فكتوريا ) ، أشعر بأن هذا أكثر مما يعنيه .. أشعر بأن هذا بحق انتصار الإنسان .. »

حرك ( جريجوري ) خصلات شعره المحمر وقال :

« وحتى بعدها .. لا يفتع الشاعر بالوصول إلى ( فكتوريا ) ، واسوف يتساعل عن جدوى وصوله هناك .. الشاعر لا يفتع بالتحليق في السماء ذاتها .. الشاعر هو الثورة ذاتها .. »

« وما الشاعرية في أن تكون ثائراً ؟ الثورة ودور البحر بحدثان للإنسان ، لكن لأشنى لو عرفت أن فيهما شاعرية من أي نوع .. كلاهما قىء .. وإثنى لأجد في الهضم المنتظم شاعرية تفوق كل الزهور في العالم .. الشاعرية الحقيقية هي ألا تمرض .. »

بدا لدى شقيقة ( جريجوري ) بعض اهتمام بكلمات وآراء هذا الضيف الجديد ، فمشت جواره إلى ركن في الحديقة وهو يتكلم بحماسة عن النظم والقانون .. ويدافع بحرارة عن حججه ، وبعد قليل وجد نفسه يتحدث لا للفتاة بل لشعرها الأحمر الجميل ووجهها المستمتع ..

وأثار دهشته حين رفع عينه أن الجميع قد رحلوا من الحديقة من زمن ، فاعتذر لها وعاد لداره شاعراً برأسه يتأرجح ثملاً .. لم يكن لهذه الفتاة دور في كل الأحداث المربعة التي ستقع فيما بعد ، ولم يرها قط حتى انتهت هذه القصة ، لكنها بشكل ما راحت تتردد في ذهنه طيلة



مغامرته المجنونة التالية ، كما تتردد (موتيفه) الموسيقا  
طيلة الوقت ..

حين خرج (سليم) إلى الشارع الذي لا تنيره إلا النجوم ،  
وجد أنه خاو .. وأدرك بشكل ما أن هذا الصمت حتى  
وليس ميتاً . وعند مصباح الشارع كان يقف شبح  
متصلب مثله مثل عمود الإضاءة ذاته .. معطفه وقبعته  
أسودان ووجهه في الظل .. لكن شيئاً في مظهره كان  
يوحي بأنه الشاعر (جريجوري) ذاته .. له سميت قاتل  
أجير ينتظر عدوه بسيف في يده ..

أتى (جريجوري) بنوع من التحية وقال :

- « كنت أنتظر .. هل لي في لحظة من الحديث معك ؟ »

قال (سليم) في دهشة واهنة :

- « بالطبع .. لكن عن ماذا ؟ »

أشار (جريجوري) للمصباح والعمود وقال :

- « عن هذا وذاك .. عن الفوضوية .. تأمل مدى

غباء ورتابة هذا المصباح ، وتأمل جمال أوراق الشجرة  
العشوائية .. »



وعند مصباح الشارع كان يقف شبح متصلب مثله مثل عمود  
الإضاءة ذاته .



- « لكنك ترى الشجرة في ضوء المصباح ، وإني  
لأسألك عن اللحظة التي ترى فيها المصباح في ضوء  
الشجرة !! » - ثم أضاف - « لكن دعني أسألك : هل  
تقف هنا في الظلام فقط لاستكمال مناقشتنا ؟ »

- « كلا .. لم أقف لاستكمال محادثتنا .. بل لإنهائها  
إلى الأبد !! »

وقف (سايم) ينظر له عاجزاً عن فهم ما يريد ،  
بينما قال الشاعر :

- « الليلة أنت نجحت في فعل شيء لم ينجح رجل  
ولا امرأة في فعله قط .. استطعت أن تضايقتي .. »  
- « إذن أنا اعتذر .. »

- « للأسف لا يستطيع الاعتذار أن يرد لي كرامتي ..  
حتى لو تبارزنا وقتك فلن ينسيني هذا الإهانة .. توجد  
طريقة واحدة أبرهن بها لك على أنك كنت مخطئاً .. »  
- « مخطئاً في ماذا ؟ »

اسود وجه ( جريجوري ) وقال :

- « أنت تعتقد أنني لا أعني ما أقول ، وأنني غير  
مخلص في فوضويتي .. تحسبني غير جاد .. لكنني  
سأريك أنني جاد حقاً وأعني ما أقول حقاً .. عليك  
أولاً أن تقسم إن كل ما سأخبرك به هذه الليلة سر ..  
سر سيظل في أعماق روحك للأبد ، ولن تخبر به  
الشرطة مهما حدث .. والمقابل أنني أعدك بليلة  
ممتعة حقاً .. »

نزع (سايم) قبعته باحترام وقال :

- « عرضك أكثر بلاهة من أن أرفضه .. تقول إن  
الشاعر دائماً فوضوي ، وأنا أختلف معك ، لكني أمل  
أن الشاعر على الأقل يتمتع بروح رياضية .. أنا أعدك  
فماذا تريد أن تصارحنى به ؟ »

- « فلنستقل عربة أجرة ونر .. »

وصلوا لعربة مارة ، وأعطى السائق عنوان حانة  
في الجهة الغربية من النهر ..

\*\*\*



## الفصل الثانى

سر ( جابريل سايم )

فى الحانة سينة الإضاءة ، جلس الرجلان على منضدة متسخة لها رجل مكسورة .. وطلب ( جريجورى ) معجون كبد الإوز بالدهن وعش الغراب ( باتى دوفوا جراه ) ، ولدهشة ( سايم ) ذهب الساقى ليحضر هذا للطلب .. رأى ( جريجورى ) دهشة ( سايم ) فقال له :

« أعرف أن هناك تناقضاً بين جودة ما يقدمه هذا المطعم وبين مظهره الخارجى .. إن هذا يعود لتواضعنا ، فنحن أكثر أهل الأرض تواضعاً .. »

« ومن أنتم ؟ »

« الفوضويون الجادون فى فوضويتهم .. أولئك الذين لا تؤمن أنت بوجودهم .. بالمناسبة .. لو شعرت

بأن المائدة تتحرك قليلاً فلا تعز هذا إلى إفراطك فى الشراب .. لا أريد أن تتهم ذاتك بتهمة باطلة »

فما كاد يقول هذا حتى بدأ ( سايم ) بالفعل يشعر بأن المائدة تتحرك قليلاً .. قال له ( جريجورى ) :

« لا تقلق .. هذا نوع من القلاووظ »

« آه ! نوع من القلاووظ .. ما أبسط الأمر !! »

فى اللحظة التالية واصلت المائدة الدوران ثم غاصت فى الأرض بمن عليها ..

نهض ( جريجورى ) واقتاد ضيفه إلى باب يفضى إلى ممر مسقوف .. فى نهايته كان ضوء أحمر ينبعث من مصباح قرمضى عملاق يوشك أن يكون حجمه كالمدفأة .. دق على باب معدنى خمس مرات فجاءه صوت من الداخل يسأل عن شخصه ، فقال :

« أنا مسطر ( جوزيف تشامبرلين ) . »

اتفتح الباب فدخل ، وكان المدخل مبطناً بما يشبه شبكة معدنية ، سرعان ما تبين ( سايم ) أنها مجموعة



متقاطعة من البنادق والمسدسات ثبتت إلى الجدران .  
بعد مرور في عدة ممرات مماثلة ، بلغنا غرفة معدنية  
غريبة تشبه الكرة ، لكن كانت بها مناضد عدة توحى  
بأنها قاعة درس . لم تكن هناك بنادق في هذه الغرفة ،  
لكن على الجدران كانت أشياء غريبة كلها بيض طيور  
معدنية . كانت قنابل ..

قال ( جريجورى ) :

« حاول أن تكون على راحتك هنا ياسيدى .. حقاً  
لا توجد أسباب تفسر لماذا أريك هذا كله .. إنه أمر لم  
أخطط له مثله مثل الوقوع فى الحب .. والآن أما زلت  
تشعر بأننى فوضوى غير صادق فى فوضويتى ؟ »

« ما زلت لا أفهم معنى هذا كله .. »

« ليس هدفنا هنا تحدى القانون والشرطة .. بل  
نحاول ما هو أكثر عمقاً وتعقيداً .. لقد تحدث فلاسفة الثورة  
الفرنسية لسخفاء عن حقوق الإنسان .. نحن نكره الحقوق  
ونكره الأخطاء .. لقد ألفينا لفظتى صواب وخطأ » .

« ليتكم تلفون لفظتى اليمين واليسار كذلك .. ولكن  
دعنى أسألك بالمناسبة : مع كل هذا الحذر وكلمات السر ،  
أراك تجهر بأرائك الفوضوية جهراً أمام النساء .. »

« دعنى أحك لك قصتى .. فى الأيام الأولى لاعتناقى  
الفوضوية ، كان على أن أنتكر وسط المجتمع .. تنكرت  
كأسقف لكن سرى افتضح سريعاً .. بعد هذا جربت  
أن أبدو كمليونير ، لكنى كنت أدافع عن الرأسمالية  
بحماسة وذكاء أقنعا كل من حولى أنني رجل فقير فى  
الحقيقة !! وحين جربت أن أكون رجلاً عسكرياً رحلت  
أصبح طيلة الوقت : دم .. دم ! ثم أدركت أن العسكريين  
لا يتصرفون هكذا .. قصت رئيس مجلس الفوضويين ،  
وهو أعظم رجل فى أوروبا بلا مرء .. »

« ما اسمه ؟ »

« لن تعرفه .. لكنه رجل عبقري بالفعل ، ولو جلست  
معه عشر دقائق ، لشعرت بأن ( قيصر ) و ( نابليون )  
هم مجرد أطفال بالنسبة له .. لقد سألته عن أسب تنكر  
لنوب به وسط الناس ، فنظر لى وقال : تريد تنكراً يخدع



الجميع ، ولا يشتبه أحد في أن صاحبه يحمل قبلة ؟  
تكرر كفوضوى بالحمق !! وقتها لن يحسبك أحد قفراً  
على عمل شيء .. وهكذا لم أقس نصيحتته .. طيلة الليل  
أتحدث عن القتابل والموت أمام هاته السيدات ، لكنهن  
لا يصدقن حرفاً مما أقول .. إن التزعيم بالغ الحكمة ، ونحن  
نطلق عليه (الأحد) .. كما ترى هناك سبعة أعضاء  
للمجلس الفوضوى ، يحمل كل منهم اسم يوم من  
الأسبوع .. وبالصدفة سيكون علينا الليلة - في هذا  
المكان بالذات - انتخاب بديل للعضو (الخميس) لأنه  
توفي فجأة .. ويهمنى هنا أن أصرحك بسر لا يجب أن  
يعلمه أحد من القادمين بعد عشر دقائق : أنا من  
سيكون الخميس ..

- « ياله من شرف يا صديقى ! »

أشار (جريجورى) إلى منضدة عليها عباءة وسيف  
ومسدس .. وقال وهو يفرك يديه :

- « كل ما على هو أن ألبس هذه الأشياء ، وأتجه  
إلى الكهف المجاور الذى يطل على النهر ، ثم أستقل

قارباً بخارياً .. وبعدها .. المتعة الوحشية لأن أكون  
أنا الخميس ! »

قال (سليم) فى حيرة :

- « لا أدري حقاً لماذا أميل لك يا (جريجورى) ..  
ربما لأنك جحش لحمق ، وربما لأننى لأريد إفساد هذه  
الأمسية الشائقة .. لكنى أريد منك وعداً .. أنا وعدتك  
ألا أبوح بسررك للشرطة وعليك أن تعدنى بالألا تصدر  
منك كلمة للفوضويين بخصوص سرى »

- « سر ؟ هل لديك سر ؟ »

- « نعم .. وأرجو أن تعدنى بالألا تكشفه .. »

- « أعذك ، ولكن تكلم سريعاً فقد لنا موعد وصول  
أولهم .. »

مد (سليم) يده فى جيبيه فى نفس اللحظة التى  
دوت فيها خمس دقائق على الباب ، تعلن وصول أول  
المجتمعين لليلة .. وقال :



## الفصل الثالث

الرجل الذي كان الخميس

لمتت يد ( جريجورى ) إلى المسدس ، وصوبه إلى رأس ( سليم ) لكن هذا لم يهتز .. وقال فى لا مبالاة :  
- « لا تكن طفلاً .. ألا تفهم أننا فى نفس القارب ، وأن كلاً منا قد وضع الآخر فى وضع ( كش مات ) ؟ أنا لا أستطيع إبلاغ الشرطة بأنك فوضوى ، وأنت لن تستطيع إبلاغ الفوضويين بأننى شرطى .. إنها مباراة بين عقلين .. أنا شرطى محروم من معونة الشرطة ، وأنت فوضوى محروم من معونة الفوضويين .. لكنك فى وضع أفضل منى .. فأنت لست محاطاً برجال الشرطة المتشككين .. »

وضع ( جريجورى ) المسدس بعد تردد ، بينما دخل الرجال ..

ماكن يستطيع أن يخون ( سليم ) الآن .. ربما للشرف ،

- « لا أدري هل يسمح الوقت بالكلام أم لا .. لكن فكرتك عن التنكر فى ثوب شاعر فوضوى لإخفاء أنك فوضوى ، لم تكن وليدة أفكار الرئيس فقط .. لقد فكرنا فى الشيء ذاته فى ( سكوتلانديارد ) !! »

- « ماذا تقول ؟ »

- « نعم .. أنا مخبر فى الشرطة .. لكن يبدو أن أصدقاءك قد جاعوا الآن .. »

راح اسم ( جوزيف تشامبرلين ) يتردد ، وسرعان ما دخل حشد من ( جوزيف تشامبرلينغ ) إلى لردهة ..

\*\*\*



وربما لأنه لو خاته واستطاع (سليم) بشكل ما أن يفر ..  
سيكون (سليم) وقتها (سليم) جديداً متحرراً من أي  
قسم سابق قطعه .. سيدخل أقرب نقطة شرطة ويحكي  
كل شيء .. دع (سليم) يرحل بسلام إنن وجازف بهذا ..

قال للرجال :

- « حان وقت البدء فالفارب البخارى ينتظر الآن  
حتمًا .. »

اعتلى رجل قصير القامة مقعد الرئيس ، على حين  
اتخذ الرجال مقاعدهم كأنما فى محاضرة .. قال للرجل  
فى حدة :

- « يارفاق .. إن اجتماعنا الليلة عظيم الأهمية ..  
فكما تعرفون إن فرعنا هو المكلف بانتخاب أيام الخميس  
للمجلس ، وكان الخميس السابق رجلاً عظيم الشأن ،  
نذكر له تفجير جسر (برايون) ، الذى كان ممكناً أن  
يقتل كل إنسان هناك لو كان حظنا أفضل .. وقد مات  
الفقيد بسبب مبادئه وهو يشرب مزيجاً من الطيشور

والجبر الحى ، بدلاً عن اللبن الذى كان يعتبره مشروباً  
همجياً .. من الصير أن نحكى كل مزايا الرجل ، لكن  
الأصعب أن نجد له بدلاً .. وسيكون عليكم أن تتقدموا  
بترشيحاتكم لأصلح رجل كى يكون الخميس .. »

نهض رجل عجوز نحيل ، وقال :

- « أطالب بترشيح الرفيق (جريجورى) ليكون  
هو الخميس .. »

صفق الجميع ، ونهض (جريجورى) صاحب الوجه  
ليقول كلمة شكر بهذه المناسبة .. كانت مهمته الآن  
أن يقع مخبر للشرطة لجالس معهم أن المنظمة ليست  
شيئاً جدياً خطيراً .. لقد كان المخبر يؤمن أن الفوضويين  
لا يعنون ما يقولونه حقاً ، فهل يستطيع (جريجورى)  
الآن أن يقتعه بهذا من جديد ؟ كان مؤمناً بقدرته  
الخارقة على التلاعب بالألفاظ وجعلها تحتمل أكثر  
من تفسير ..

- « يارفاق .. لن أقول هنا شيئاً لا تعرفونه جميعاً ..



إن الناس الذين يتهمون الفوضوية بشئى التهم ،  
يقصدون كل مكان إلا الفوضويين أنفسهم كى يستقوا  
معلوماتهم .. إن رجل الشارع الذى يسمع أننا أوبئة  
تمشى على قمين ، لم يسمع نفاعنا عن أنفسنا قط ..  
وهانحن لولاء نجتمع هنا تحت الأرض كما كان للمسيحيون  
الأوائل يجتمعون فى السرايب .. ولو فرضنا لمجرد  
الفرض أن هنا رجلا ليس من بيننا .. فبئنى أقول له :  
ترى ما السمعة والإشاعات التى كان الرومان وقتها يطلقونها  
على هؤلاء المسيحيين ؟ أننا ودعاء كهؤلاء تملأنا .. »

هنا نهض رجل بلبس سترة جلدية ، وبحدة قال :

« أنا لست وديفا .. »

« الرفيق ( ويذرسيون ) يزعم أنه ليس وديفا ..  
حسن .. أنا أعترف أن لهجته حادة ومظهره خشن .. لكن  
لا بد لقلب صديق مثل قلبى كى يحكم على هذا الرجل ..  
إن فيه وداعة بالغة كامنة لا يشعر بها هو نفسه ..  
إن فينا بساطة ورقة لا توصفان .. انظروا لى واحكموا  
بأنفسكم ! لقد زعم الرومان أن المسيحيين الأوائل كانوا  
يأكلون لحم الموتى .. ونحن لا نأكل لحم الموتى .. »

« يا للعار !! لماذا لا نفعل ذلك ؟ »

« أقول أننا نحب المجتمع .. »

« فليسقط الحب !! »

« أقول أننا نحب بعضنا ، ولسوف نصل جاهدين  
على أن نوصل رسالتنا للناس .. »

أخيراً جلس ( جريجورى ) منهاكاً ، وقد ساد جو  
من الصمت وخيبة الأمل ، وبدأ أنه ما من واحد بعد  
هذه الخطبة يرغب فى انتخابه ليكون الخميس .. كاد  
رئيس الجلسة يتكلم ، لكن ( سايم ) وثب على ساقيه  
وصاح :

« سيدى .. أنا أعترض على ترشيح الرفيق »

قلها بلهجة هائلة ، ثم بدأ يمارس فن الخطابة كما  
ينبغى ، إذ غير نبرة صوته لتجلجل فى القاعة كالرعد :

« يارقاى !! هل حقاً وصلنا لهذا ؟ أترانا نعيش  
تحت الأرض من أجل هذا ؟ أترانا علقا كل هذه النخائر  
ولخترنا كل هذه القتابل ، حتى لا يجيء أحد ويسمع الرفيق



جريجورى يقول : فلنكن خيرين .. الأمانة هي خير سياسة .. الصديق منج ؟ هذه مواظب جديرة بمدارس الأحد .. جديرة بالوعاظ .. لكنى لست واعظاً (تصفيق تصفيق) .. أنا عدو المجتمع لأن المجتمع هو عدو البشرية .. يقول الرفيق إتنا لسنا قتلة وأنا أوافق على هذا .. نحن لسنا قتلة بل نحن جلائون !! لهذا أقول إن الرجل الذى يحمل أخلاق قديم لا يصلح بالتاكيد ليكون الخميس .. »

جلس (جريجورى) يصفى لهذا كله وجهه متصلب ، كأنما لا يصدق ما يسمع ..

واصل (سليم) الكلام :

- « أنا (سليم) لقف أمام (جريجورى) فى الترشيح ، وأقول إتنى لست رجلاً على الإطلاق .. أنا سبب !! وإتنى أطالبكم بالاختيار بينى وبينه كما تختارون بين نوعين من المسدسات على الجدار .. »

اختفت مقاطعه الأخيرة وراء سد من التصفيق ، والتمعت الوحشية فى العيون طلباً للمزيد .. هنا نهض (جريجورى) والزبد يتساقط من شدقيه ، وصاح :

- « كفى أيها المجنون !! لقد تجاوزت الحد !! »

صاح (سليم) بصوت أعلى :

- « أنا لا أريد دخول المجلس لأطالب بدفع تهمة القتل عنا .. أنا أريد أن نستحق هذه التهمة !! أريد أن أثبت للنفس والقاضى ورجل البرلمان البدين الذين يتهموننا بأننا مجرمون نخرب المجتمع .. أريد أن أثبت لهؤلاء أنهم صادقون فى نبوءتهم !! »

هنا فقط نهض رئيس الجلسة وصاح وسط التصفيق :

- « أنا أرى أن أجدر شخص لمنصب الخميس هو الرفيق (سليم) .. »

صاح (جريجورى) فى وهن :

- « لا تفعلوا ! أنتم لا تفهمون !! »

ثم بلهجة متوسلة صاح :

- « أرجوكم .. لا أستطيع أن أقول السبب لكن لا تنتخبوا هذا الرجل .. أنا آمركم .. خذوها على هذا المحمل ،



فإن لم يرق لكم فلنا أتومل إليكم .. سأجثو على ركبتي  
وأرجوكم ألا تفلتوا .. سأكون خادماً للطبع .. عبيكم  
الرفيق .. لكن صدقوني .. »

نهض رجل نحيل فارغ القامة من مؤخرة الجلوس ،  
وقال بلهجة أمريكية :

« أنا راغب في دخول الترشيع .. »

جرى الانتخاب .. فلما ذكر اسم (سايم) ارتفعت  
الأيدي كلها غلبة .. وسرعان ما صار المستر (سايم)  
هو يوم الخميس في مجلس المفوضين المركزي .. وقال  
له رئيس الجلسة :

« هلم لتركب القارب .. »

ضم (سايم) عباءته على جسده ومشى عبر معر  
ضيق خلف الرجل .. كانت البحيرة صفحة من الفضة  
كأنما هي لوحة من لوحات المسرح ، وقد وقف في  
ضوء القمر قارب بخارى صغير ..

وسرعان ما انساب القارب البخارى براكبه ..

\*\*\*



ضم (سايم) عباءته على جسده ومشى عبر معر ضيق خلف الرجل

## الفصل الرابع

### حكاية المخبر

لم يكن ( جابريل مايم ) مخبراً تنكر في ثوب شاعر ، بل كان شاعراً اختار أن يعمل مخبراً .. كان قد تضايق في شبابه من حماقات من يزعمون أنفسهم ثوريين ، واتخذ موقفاً بالغ التحفظ .. كان ثائراً على أشياء كثيرة ، ومن ضمن هذه الأشياء الثورة نفسها .. وقد رأى مرة ديناميتاً ينفجر جواره في عملية إرهابية ، جعلته يمقت الفوضويين مقتاً بالغا .. لم يعتبرهم كهافي المثقفين وباء يجب اجتثاثه ، بل اعتبرهم خطراً داهماً على الأمة كغزو من الصين ..

وعرف أن هناك قسماً في الشرطة يضم رجال الشرطة المثقفين ، وهؤلاء عملهم مراقبة الأفكار .. إنهم لا يبحثون عن الجريمة بعد ارتكابها .. بل يبحثون عنها قبل ارتكابها

في عقول المثقفين .. والفكرة التي تلح عليهم هي أن للصوص العادي البائس لا يهدم المجتمعات .. أما المفكر والفيلسوف فهو الذي يرتكب أشنع الجرائم طراً .. ليست جرائم آل ( ميديتشى ) مثلاً للعيان ؟ ألا يعرف الجميع فظائع أباطرة الرومان ؟

وهكذا كانت الشرطة تعتبر أشنع المجرمين هو الفيلسوف عديم الاحترام للقاتلون .. إن للصوص العادي يحترم الملكية ويحاول أن ينقلها له بطريقة غير مشروعة ، وهو بهذا يحترم الأهواء البشرية ، أما الفيلسوف فيزدرى الملكية ويحاول أن يلغيها .. إن القتل يحترمون الحياة البشرية حتى إنهم يحاولون سرقتها من ضحاياهم ، بينما الفيلسوف يزدري الحياة كلها .. إن المجرم العادي يحترم قوانين الكون لكنه يحاول تجاوز العقبات بشكل غير مشروع ، بينما الفوضوي يدمر كل هذا ..

تطوع ( سليم ) للانضمام إلى هذا القسم في الشرطة ، وأخذوه ليلقى القائد في ( سكوتلانديارد ) .. كان القائد يجب أن يلقي رجاله في غرفة معمة الإضاءة لأن هذا



يساعده على التركيز .. وأثار رعب (سليم) كل هذا  
الظلام المحيط به في الغرفة .. لم تكن تلك الظلمة  
المعتادة حيث تتبين حدود الأشياء بل بدا الأمر كأنما  
أصيب بالعمى فجأة ..

- « هل أنت المتطوع الجديد ؟ »

وبرغم أنه لم يكن هناك ضوء ، فإن (سليم)  
أدرك أن من يكلمه رجل هائل الجثة يدبر ظهره له ..

- « أنت صرت معنا .. »

- « لكنني غير كفء يا سيدي .. »

- « إن لديك الرغبة وهذا كاف .. »

- « وهل هناك مهنة تكفي الرغبة كاختيارها

الأخير ؟ »

- « نعم .. مهنة الشهيد ! إنني لأتمنى للموت .. طلب

يومك .. »

وهكذا تم تعيينه وخرج للعالم الخارجي ليمارس مهنته

الجديدة .. بعد ما تلقى وارثي ثوبًا فلخرة منسوبة ، وراح  
يبحث عن الجريمة في مجتمعات (لندن) الراقية ..

وكما رأينا ؛ فأنته مغامرته إلى أن يجد نفسه في  
قارب بخاري ، في اللوحدة والنصف بعد منتصف  
الليل ، متجهًا إلى حيث يلعب دوره الجديد كالخميس  
في مجلس القوضويين ..

وحين غادر القارب ، شعر بأنه لا يخطو فقط فوق  
أرض جديدة .. بل فوق كوكب جديد .. كان القمر وهلجًا  
قويًا حتى بدا له كأنما هو شمس أضعف .. لم يعط  
الانطباع بضوء قمر براق ، بل بضوء نهار غائم ..

كان القارب بطيئًا جدًا ، فما إن بلغ (وستمنستر)  
حتى بدأت أولى خيوط النهار .. واتجه القارب إلى  
مرسى قرب (شيرنج كروس) ..

خرج من القارب ومشى فوق المنحدر المبتل ..  
ووقف .. بينما أدار الرجلان القارب من جديد واختليا ..  
لم يكونا قد نبسا بينت شفة طويلة الرحلة ..

## الفصل الخامس

### وليمة الخوف

بدأ السلم الحجري في البداية مهجوراً كهرم قديم ..  
لكن ما إن وصل لأعلى حتى تبين رجلاً ينحني فوق  
حاجز الجسر يتأمل النهر .. كان يرتدى معطفاً أسود  
ويضع زهرة حمراء في عروته .. لنا منه (سليم) أكثر  
فراى أن وجهه مستطيل حاد يوحى بالثقافة ، ينتهى  
بلحية مدببة صغيرة بالضبط عند طرف الذقن ..

لنا (سليم) أكثر فأكثر .. وخطر له بالفريضة أن هذا  
هو الرجل المفترض منه أن يلقاه ، لكنه غير هذا للرأى  
حين وجد أن الرجل لم يتحرك ولم يتكلم . كان ثابتاً  
كتمثال من شمع ، ثابتاً أكثر مما هو طبيعي ..

مد (سليم) يده في جيبه وأخرج الورقة التى تثبت  
أنه انتخب ، وقربها من الوجه الوسيم الحزين .. هنا

ابتسم الرجل وكانت ابتسامته صادمة ، لأنها حدثت  
في جانب واحد فقط من وجهه .. هذا طبيعى فى أناس  
كثيرين ، لكن بالنسبة لأعصاب (سليم) المرهقة كان  
هذا يفوق التحمل . وبدأ الرجل يتكلم دون مقدمات  
كأنما يكلم صديقاً قديماً :

- « لو مشينا إلى (ليستر سكوير) سنصل فى وقت  
الإفطار .. إن الأحد يصر على الفطور المبكر .. هل  
نمت ؟ »

- « لا .. »

- « ولا أنا .. سنحاول الظفر ببعض النوم بعد  
الفطور .. »

كان ينطق لمجاملات بلا حياة ، كأنما هى كلمت لا تمثل  
له أهمية .. وفهم (سليم) أن هذا ليس الأحد إنما  
هو سكرتيه .. اتجه الرجلان ليجلسا فى شرفة المطعم  
لذى يطل على الميدان ، ولتى جلس فيها خمسة رجال  
متأقنين بشكل مبالغ فيه - كأنما هم فى حفل عرس -



يتبادلون النكات بصوت عال . هذا إن هو ملتقى  
مفجرى الديناميت البريطانيين ..

وفي الشرفة لاحظ (سليم) شيئاً غريباً .. شيئاً كان  
في الواقع كبير من أن يراه المرء بسهولة .. إنه ظهر  
رجل جرم بالغ الطول والبدانة ، كأنه تمثال صلاب  
نحت هناك . أثناء هاتلنا الحجم ورأسه متضخم وكل  
ما فيه يتجاوز المقاييس المعهودة ، حتى إن كل  
شيء في المطعم بدا قزماً .. ولم يحتاج (سليم)  
للسؤال عما إذا كان هذا الصلابة هو الرئيس الذي يهابه  
الآخرون أم لا ، لأنه عرف ذلك بالسليقة .. ولم يكن  
(سليم) بطبعه من الرجال الذين يخشون الخطر المادي ،  
لكن للتأثير النفسي كان يلعب معه أسوأ الأتور . كأنه  
يدنو من مركز قيادة جهنم ذاتها . لنا من الرجل فوجد  
أن وجهه الجسم يكبر أكثر فكثر ، وأصلبه ذعر طفولي  
من أنه لو دنا أكثر فلن يكون حجم هذا الرجل ممكناً .  
تذكر كيف كان يخاف من تمثال (ممنون) في المتحف  
للبريطاني ، لأنه كان وجهاً ضخماً جداً . لكنه حين جلس  
وأعاد تأمل الأحد ، أدرك أن ملامحه ما زالت بشرية .

كان هناك رجل آخر له ملامح سوفيتية يرتدى  
ثوباً أثيقاً ، لكن تطل من يافته البيضاء ملامح  
غريبة جداً ، فلو كان ما خرج من يافته رأس كلب  
أو قط ، لكان المشهد أقل غرابة . كان اسم الرجل  
(جوجل) وهو بولندي ، لكنهم هنا يطلقون عليه  
(الثلاثاء) . ويبدو أن الرئيس لاحظ هذه النظرة فقال  
في صوت عميق مطمئن :

« إن صلحنا (الثلاثاء) لا يفهم الفكرة .. إنه يلبس  
ثياب سيد مهذب ، لكن يبدو أن روحه أعظم من هذا ..  
دائماً ما يوحى مظهره بأنه متأمر .. ولو مشى على  
يديه وركبتيه في الشارع فلربما لن يلفت النظر إلى  
هذا الحد »

بلهجة أجنبية كثيفة قال (جوجل) :

« لنا لا أجيد التخفي .. »

« نعم أعرف أنك لا تجيد التخفي .. كما لا تجيد  
أي شيء آخر .. »

كان (سليم) يدور بعينه في وجوه الرجال ، وأدرك أن كلاً منهم يدارى شيئاً شيطانياً ما فى ملامحه ، مثل تلك البسمة الجانبية التى صدمته لدى من قابله عند النهر . لا بد من لحظة ما تتبدل فيها الملامح لعشر ثانية فتبدو مشوهة كما نراها فى مرايا الملاهى . إن السكرتير الذى لقيه عند النهر هو (الأتنين) ، وتوحى عيناه بألم مقيم كأنما التفكير فى حد ذاته هو أشنع ألوان العذاب .

الأربعاء كان هو الرجل الوحيد الذى يبدو أن ثيابه تناسبه ، لكن جواً قائماً مبهماً كان يحيط به ، وخمن (سليم) أنه ماركيز يهودى فى الغلب . فقط فى اللوحات القديمة التى تمثل الطغاة يصطادون أو يقتلون ، يمكنك أن ترى هذه الملامح القائمة الشريرة القاسية .

أما الجمعة فكان عجوزاً يدعى البروفسور (دى فورمز) ، وكان فى آخر أرذل العمر ، حتى إن الزهرة الحمراء التى يضعها كانت تتناقض بوحشية مع وجهه الشاحب الميت . وخطر لـ (سليم) شعور منفر بأن هذا الرجل لو تحرك لسقطت منه ذراع أو ساق .

أخيراً كان السبت جالساً .. كان طبيباً ممارساً يحمل اسم (بول) ، ذا وجه حليق وذقن مربع يوحى بالتصميم . ولم يكن فيه ما يلفت النظر إلا عويناته الصغيرة السوداء التى أثارت ذعر (سليم) . ذكرته بذكرى مخيفة ما عن قطع العملة التى يضعونها على جفون الموتى ، كي لا يفتحوا عيونهم بعد الموت .

كان فى مظهره نوع من ادعاء الفحولة ، جعل (سليم) يقدر أنه ربما كان أكثر هؤلاء الأشرار شراً .

\*\*\*



## الفصل السادس

### الانكشاف

هؤلاء كانوا الرجال الستة الذين تعاهدوا على تدمير العالم . وقد وجد (سايم) نفسه أحياناً ينتظر لهم كرجال أشرار علابين ، وأحياناً كان الذعر الخارق للطبيعة يملكه .

وكما كانت الأسطورة القديمة تقول إنك لو قصبت الشرق .. أقصى الشرق ، ستجد شجرة ليست بالضبط شجرة ، بل هي مسكونة بروح شريرة .. ولو قصبت أقصى الغرب ستجد برجاً ليس بالضبط برجاً ، فإن هؤلاء القوم وصلوا قمة لتطرف في التفكير الإنساني ، وغابوا خلف الأفق الشرقي أو الغربي للعالم .

كانوا في الشرفة المشمسة ، يتحدثون بصوت عال مسموع ، عن خطة إلقاء قبلة على القيصر حين يقبل

رئيس الجمهورية الفرنسية .. يتكلمون بوضوح إلى حد أن نادى للمطعم كانوا يتسممون ويضحكون من هذه الدعايات الظرفية .. وكان المكلف بالعناية المركزة . لم يكن أحد يهتم بـ (سايم) ، لكن ماضيق هذا الأخير وأثار فزعاً في النهاية ، هو أن الرئيس لم يبعد عينيه عنه لحظة .. شعر (سايم) بأنه من زجاج ، وأن الرئيس عرف بلا شك أنه جاسوس .

نظر للميدان فرأى رجل شرطة .. رجل شرطة خالي البال منسق الثياب يوحى بسلطة النظام والعقل ، لكنه لا يستطيع أن يناديه لأنه مرتبط بقسم مع (جريجوري) .. قسم أحمق لكنه يمثل شرفه كله .

والشيء الذي لم يدركه (سايم) وقتها هو أنه بدأ ينهزم أمام العدو .. لقد بدأ يوقن أن الأحد يمثل ما هو أكبر من الإنسان ، بحجمه الأكبر من أن يرى ، وقسمته الأكثر وضوحاً من أن تفهم . ويبدو أنه بدأ يفتن بما يمثله الرجل من ثقافة وقوة معاً . كان (سايم) يعرف أنه جبان بما يكفي كي يخشى الجبروت ،

لكنه ليس جباناً إلى حد أن يحترمه . كان الزعيم يلتهم طعامه بجشع وشهية مفتوحة مخيفة ، لكنه برغم هذا ظل يحتفظ بسطوته وسيطرته . قال الماركيز وهو يضع الزبد والمربى على شريحة خبز :

- « لا أرى .. ربما كان علينا أن نلغها بسكين ؟ جميل أن يغرس المرء سكيناً في قلب رئيس فرنسي .. »  
قال السكرتير :

- « أنت مخطئ .. إن الديناميت هو رمزنا ويمثل لنا ما هو أكثر من مجرد التدمير .. إنه يتمدد كعقولنا وأفكارنا .. »

يتمدد .. هذا هو الأساس .. »

هنا أظلمت السماء لأن الرئيس نهض وقال :

- « قبل أن نتكلم ، أريد أن ندخل غرفة منعزلة .. ثمة أشياء مهمة يجب مناقشتها .. »

نهض ( سايم ) ولجف القلب .. لكنه سمع من بعيد

من مكان ما في الشارع صوت أرغن .. أرغن يعزفه أحد الفقراء المؤمنين بالله والعاشقين للحياة برغم بؤسها . جعله هذا يتماسك نوعاً .. هذه إذن حرب بين الأرغن وبين الفوضوية .. واسوف ينتصر فيها .

اتكأهم الرئيس إلى درج جانبي ، فغرفة مظلمة رطبة صغيرة . أوصد الباب بعدما دخلوا جميعاً ، فقال البولندي بلهجة مستحيلة الاختراق :

- « كده كده .. تقول إتك لن تهتبي .. ثم هين تقرر الكلام الجاد تدهل هذا الصندوق !! »  
بلهجة أبوية متهممة قال الرئيس :

- « هذه أشياء تفوق فهمك يا ( جوجول ) .. لقد سمعنا الخدم نهذي أولاً ، لهذا لن يهتموا بنا ، بينما لو بدأنا بالنزول هنا لراحوا جميعاً يتلصصون علينا من ثقب المفتاح .. يبدو أنك لا تفقه شيئاً عن البشر .. والآن أرجو أن تجلس إلى المائدة ، لأننا سنقول شيئاً مهماً للمرة الأولى هذا اليوم »



لم يكن (سليم) يتوقع الصدمة القلبية .. إذ قال  
الرئيس :

- « جمعكم هنا لأن ما سأقول سيكون صليماً ، حتى  
بالنسبة للسفارة هنا فذين اعتقلوا سماع أغرب الآراء  
منا .. أولاً سندع كل المشروعات القائمة مع شخص  
موثوق به ، وإتني لرشح د. (بول) .. »

وضرب المنضدة بقضبته وصاح :

- « لن تذكر كلمة واحدة في هذا الاجتماع عن  
مشروعاتنا القائمة .. ولا حرفاً !! »

ظل (سليم) ثابتاً في مقعده ويده على قفص  
مسدسه في جيبه .. حين بجىء نور الهجوم عليه ،  
ففسوف يبيع حياته باهظة .. على الأقل سيثبت  
أن (الأحد) يموت كالإنسان ..

وضع الرئيس يده العملاقة على المنضدة كأنها  
زعنفة سمكة عملاقة :

- « نحن لا نبالي بالغرباء .. فهم سيحسبوننا حمقى

بتمارحون .. للخطر كل الخطر هو واحد منا لكنه  
لا يؤمن بما نعتقد .. ويعرف مدى جدبتنا .. هناك  
جاسوس في هذه الغرفة .. خائن على هذه المقعدة ..  
واسمه هو .. »

وارتجف (سليم) .. هنا أريد الرئيس :

- « (جوجل) .. ذلك الأحمق الذي يزعم أنه  
بولندي .. »

مد (جوجل) يديه لجيبه وأخرج مسدسين لكن  
ثلاثة رجال وثبوا إلى حنجرته .. ونهاوى (سليم)  
يمترخي في مقعده وقد أضناه الإحساس بالخلع ..

\*\*\*

## الفصل السابع

مسلك بروفسور ( دى فورمز ) المحير

- « اجلسوا !! »

قالها الرئيس بصوت آمر ، فجلس الجميع حتى المشبوه نفسه ..

- « والآن ياسيدى .. هلا مددت يدك فى جيب سترتك لأرى ماتخفيه هناك ؟ »

أيقظ هذا ( سايم ) تمامًا ، لأن البولندى المزعوم أخرج بطاقة لامعة زرقاء ، لا تختلف كثيرًا عن البطاقة التى يخفيها هو نفسه فى جيبه . البطاقة التى تسلمها حين التحق بشرطة ملاحقة الفوضويين . قال الأحد :

- « اعتقد أنك تفهم موقفك الآن تمام الفهم .. »

- « تمامًا .. ولا تنكر أنه ما من بولندى يستطيع

تقليد لهجتى هذه ! »

• •

كان التأثير صادمًا .. فجأة صار الرجل يتحدث العلمية الإنجليزية ( الكوكنى ) دون شائبة واحدة ، كأنما ترى رجلاً صينيًا يتحدث اللهجة الاسكتلندية فجأة وبطلاقة .. وبنفس السهولة نزع الرجل لحبته المستعارة وشعر رأسه الأشعث ..

فى هدوء قال الرئيس :

- « والآن اعتقد أنك تروق لى .. ولسوف أتضايق لدقيقتين لو سمعت أنك مت ميتة معنبة ، لهذا سأسمح لك بالرحيل .. فقط لو سمعت عنك ثانية ، أو سمعت أنك أبغيت الشرطة ، فلمسوف أعرض نفسى لهاتين الدقيقتين الأليمتين »

لم يصدق الجاسوس أنذيه ، وغادر المكان ملهوفًا .. كان يتظاهر بالثبات ، لكن ( سايم ) سمعه يتعثر فى الخارج ..

قال الرئيس :

- « والآن الوقت يمر بسرعة ، وعندى اجتماع فى إحدى اللجان الإنسانية .. لذا نلتقى هنا الأسبوع القادم



للإفطار .. لا أرغب في مناقشة أي شيء آخر .. »

صاح السكرتير محتجاً :

- « لكننا لم ننقش العليات القادمة .. المفروض أن نفضل .. خاصة وقد رحل الجاسوس »

- « لو أنك ذهبت لدارك وسلقت رأسك كإنه ساق نقت ، فلربما أحسنت التفكير .. كيف تعرف يا لصق أنه ليس بيننا جاسوس آخر ؟ »

ومن جديد ارتجف (سليم) .. لو لم يكن الزعيم قادراً على فضحه كـ ( جوجول ) ، فهو غير قادر على الثقة به كالأخرين .. كان الأربعة الباقون ينهضون الآن ، عازمين على البحث عن مكان للتغداء ، لأن الوقت كان منتصف اليوم الآن .. وخرج (سليم) بدوره إلى ميدان (ليستر) ، وأثار دهشته أن الجليد بدأ يسقط .. أثار دهشته أكثر أن هناك متجراً على الجانب الآخر ، وأن رجلاً يقف أمام الزجاج يتأمل في إصرار امرأة قبيحة تقف خلف الزجاج في قميص نوم متسخ .. إنه البروفسور (دي فور) العجوز ..

برغم الطقس وبرغم الجليد بدا أن هذا الرجل لن يتزعزع أبداً .. غريب هذا .. قرر أن الرجل - مهما كان غريب الأطوار - لا يهيم حياً بهذه المرأة القبيحة ، لكنه بالتأكيد مصيب بمرض ما من أمراض الشيخوخة ، يجعله يتصلب لفترات .. سر (سليم) لأن هذا العجوز المهتم لن يلاحقه .. على الأكل هو بحاجة إلى ساعة واحدة بعيداً عن هذا الجو المسموم .. ساعة يدرس فيها الموقف ..

مشى في الشوارع قليلاً ثم قرر أن يتناول وجبة في أحد مطاعم (سوهو) . دخل المطعم فأصابته الدهشة لأنه وجد البروفسور للفوضى جالساً إلى منضدة يشطف اللبن من كوب كبير . اندفع خارجاً من المطعم ووقف في الجليد بالخارج ، وسأل نفسه وهو بعض شارب الأيسر :

- « أتكون هذه الجنة تقفو أثرى ؟ لن يكون الأحد غيباً إلى حد إرسال رجل أعرج خلفي .. »

مشى طويلاً نحو حديقة (كوفت) ، بينما الجليد يتزايد ، ويلسعه كأنما هو ألف نحلة .. دخل مقهى في

(فليت ستريت) وطلب قهوة سوداء .. فما إن فعل حتى دخل البروفسور العجوز إلى المكان ، وطلب كوباً من اللبن !!

سقطت عصا (سليم) منه على الأرض محدثة بوباً معدنياً ، لكن البروفسور لم يتحرك .. كان (سليم) الآن - وهو يارد بطبعه - يلهث كما يلهث الريفى حين يرى ألعاب الحواة .. إنه لم ير عربات أجرة تتبعه ، ومن المؤكد أن الرجل جاء مشياً .. والرجل يمشى كالبزاقة بينما هو يمشى كالطيور ..

لم يتمالك إلا أن يأخذ عصاه ويترك قهوته التى لم يذقها ، ويهرع إلى الباب الدوار .. كانت هناك حافلة تدور حول المنحنى ، فهرع وتمسك بها ، وسرعان ما كان يجلس فى مقعده .. هنا سمع من وراء مقعده لهاثاً من صدر أستاذ الربو .. نظر ليرى قبعة ووجهها مألوفاً يرتقيان درجات الحافلة .. إنه البروفسور (دى فورمز) ذاته .. حركاته بطيئة مرهقة .. كل أطرافه ترتجف .. لا تكاد تدب فيه الحياة .. لكن كل شيء يدل على أنه ركض وراء الحافلة ووثب ليركبها .. وثب (سليم) من الحافلة ، وقطع يركض عبر ترقوة

(فليت ستريت) الجانبية .. يدخل هنا ويخرج من هناك .. حتى أتم عشرين دورة كاملة ليتأكد ما إذا كان هناك من يراقبه .. وقف يلهث ويصفى السمع .. كانت الغيوم تملأ سماء لندن ، حتى إن الليل لنا قبل الألوان ، والكأبة كانت تظلم الجو .. هنا سمع صوت عكاز ذلك الأعرج القادم من جهنم ..

قرر أن يخرج إلى الشارع العام ، ووجد نفسه أمام كاتدرائية القديس (بول) .. كانت الشوارع خالية تماماً وأبرك أن هذا منطقى لأن للعاصفة الثلجية تردد شدة ، ولأن اليوم هو الأحد .. السماء خضراء غريبة كأننا تحت الماء لافوق الأرض .. المصابيح مضاءة فى هذا الوقت المبكر .. والكاتدرائية تبدو كأنما هى جسم أسود يجثم على السماء ..

كان يعرف أن الشبح الشيطانى يتبعه ، وأحس أن الكاتدرائية تحميه قليلاً .. رفع العصا فى يده واستدار ليواجه مظهره ..

جاء البروفسور ببطء عبر الزقاق من خلفه .. كان



كل ما فيه معوجاً كأنما تشوه شكله من المشى فى كل  
الأرقة المتوية التى مشى فيها .. ينتظره (سليم)  
كما انتظر القديس (جون) التتين ، أو كما ينتظر  
المرء تفسيراً نهائياً أو يموت .. لكن الرجل جاء ،  
ومر به كأنما هو غريب عنه تماماً ..

كاد (سليم) يجن . الرجل يتصرف ببراءة كأنما  
كل هذه المطاردة كانت مصادفة .. تملكه نوع من  
الحقد الصبى ، فروح بعصاه كأنما يطير قبة الرجل ،  
وقال شيئاً على غرار : لمسكنى لو استطعت .. ثم راح  
يركض فى الساحة .

الآن لم يعد أحدهما يتظاهر بشيء ، وقد راح الرجل  
يمشى وراءه بخطى واسعة ، وإن احتفظ وجهه بجدية  
ووقار غربيين . توجه (سليم) إلى الميناء .. دخل إحدى  
الحاكت القذرة الملاى ببشارة أجنب ، حيث لابد أن  
للمشجرات تتم بالمدى ، وحيث يباع الأقيون بالتأكد .  
بعد قليل دخل البروفسور للمكان ، وطلب كوباً من  
اللين .

\*\*\*



الآن لم يعد أحدهما يتظاهر بشيء ، وقد راح الرجل يمشى وراءه  
 بخطى واسعة

## الفصل الثامن

### البروفيسور ينسى

أخيراً وجد (سليم) نفسه جالساً في مقعد ،  
وأمامه وجه البروفيسور الشاحب ، راح يمنى نفسه  
أنه ربما كانت المطاردة لسبب لا يفهمه .. ربما كان  
هناك تقليد يقضى بمطاردة العضو الجديد عبر  
الأرقة .. ربما هذه من طقوس الاحتفال بالخميس ..  
ربما ..

كان يستعد لأول سؤال ديبلوماسي ، حين فاجأه  
الفوضوي العجوز بسؤال لا كياسة فيه :

- « هل أنت شرطى ؟ »

كان سؤالاً غريباً .. آخر سؤال توقعه .. فلم يجد  
إلا ما يكفى لاصطناع السخرية :

- « أنا شرطى ؟ لم تقول ذلك ؟ »

- « الأمر سهل .. أنت تبدو كرجل شرطة .. »

- « هل نسيت وأخذت قبعة شرطى من المطعم ؟  
هل يوجد رقم ملصق على ثيابى ؟ »

- « هل أنت مخبر ؟ »

سألها الرجل فى نفاذ صبر ثم كرر السؤال وهو  
يضرب المتضدة بكفه العجوز ..

- « لا ! »

قالها (سليم) كأنه رجل يتوسل للجلاد على منصة  
المشنقة ..

- « هل تقسم على هذا ؟ أنت لا تعمل مع  
(سكوتلانديارد) .. أنت فوضوى ومفجر ديناميت .. »

- « لست مع الشرطة بأى شكل .. »

استرخى البروفيسور فى مقعده وقال :

- « هذا مؤسف .. لأننى معهم !! »

وثب (سليم) من مقعده وهتف :

- « ماذا تقول ؟ »



- « أقول إني رجل شرطة .. لكن لا جدوى من هذا ما دمت تقسم أنك لست منهم .. »

وألقي على المنضدة ببطاقة زرقاء تماثل تمامًا ما في جيب (سايم) .. هنا فقط أترك (سايم) كم كان أحمق .. لم يكن الشيخ الذي فر منه سوى زميل في الشرطة ، وبالطبع كان يصطنع العاهة والشيخوخة ، طوح برأسه إلى الوراء وراح يضحك في هستيريا .. يضحك ، حتى إنه أثار دهشة بعض السكران ، وسأله أحدهم :

- « علام تضحك يا ريس ؟ »

- « على نفسي »

وواصل الضحك المجنون ، حتى نصحه البروفسور بأن يتوقف ، سأله (سايم) في استمتاع :

- « إذن أنت لست شيخاً .. »

- « لا أرى .. لقد احتفلت قريباً بيوم ميلادي الثمان والثلاثين .. لكن لا أستطيع أن أنزع المكياج هنا ، لأنه معقد وصعب الإصلاح .. »

- « هل كنت تعرف أن (جوجل) عميل هو الآخر ؟ »

- « لا .. وقد حسبته لزعم يعينى ولرتجلت هنا .. »

- « لكن معنى هذا أننا كنا ثلاثة !! ثلاثة ضد أربعة ! فقط لو كنا نعرف وقتها لما خشنا شيئاً .. »

أسود وجه البروفسور وقال :

- « حتى لو كنا ثلاثمائة فلا جدوى من أن نهزم الأحد !! »

عاد وجه الأحد سريعاً وبوضوح تلم إلى ذاكرة (سايم) وقد أثار هذا رعبه .. كل الوجوه الأخرى مهما كانت شريرة تبهرت مع الوقت ، إلا هذا الوجه فقد ظل حاضراً مخيفاً ، كان عليه أن يواجه الرجل لأن المرء يجب ألا يترك شيئاً يخافه في الكون دون مواجهة ، قال للبروفسور في حماسة :

- « علينا أن نقول ، ولول شيء علينا أن نمنع عملية باريس هذه .. »

- « وكيف ؟ إن الأمر لم يناقش وهو متروك كله  
للدكتور (بول) كما تعلم .. »

- « أريد الوصول إليه .. أين هو ؟ هل تلحق بي ؟ »  
قال البروفسور وهو يحمل قبعته :

- « أيتها الشاب .. يسأليني كثيرا أنك تعتبرني جبنًا ..  
ليكن . أنا مؤمن باستحالة قهر الأحد .. سادعك تعرف  
هذا بنفسك .. »

غادر الاثنان الحانة ، وكان الجليد قد توقف ، إلا أنه  
ذاب في برك صغيرة زلقة هنا وهناك ، وكانت بعض  
كتل الجليد لم تنب بعد ، لكنها اكتسبت لونا رماديا في  
الضوء الخافت ، مشيا قليلا حتى وصلا إلى ضفة  
النهر ، ثم توقف البروفسور وقال :

- « من هنا يمكننا أن نرى ما إذا كان الدكتور  
قد أوى إلى فراشه بعد .. إنه مولع بصحته ويحب  
النوم مبكرا .. إن غرفة نومه يمكن رؤيتها من  
هنا .. »

على الناحية الأخرى من (التيميز) كانت مجموعة من  
البيوت تبدو كأنها هي معلقة على صفحة الماء ..  
وأحدها بالذات كان شامخا كأنه برج (بابل) بآلاف  
العيون .. وشعر (سليم) الذي لم ير ناطحات سحب  
أمريكا قط أنه في حلم ..

ضرب البروفسور عنق حذائه الطويل بعصاه وقال :

- « لقد تأخرنا ونام الرجل .. تعال نتناول العشاء  
وغدا نراه .. »

كان (سليم) يشعر برحلة بالغة .. إن الرياضيات تقول  
إن الواحد يتضاعف حين يضاف لواحد آخر ، لكن (سليم)  
شعر بأنه تضاعف الآن لمئة ألف ضعف .. وراح يسكب  
قصته كلها في أنن جاره .. وفي النهاية قال :

- « لقد تذكر (جوجل) جيدا لكنه بالغ بعض  
الشيء .. »

- « لقد حاول أن يبدو كما يتخيل الفوضوي .. أما أنا  
فأرسم على وجهي (بورترية) .. بالواقع أنا بورترية



حي يمثل رجلاً حقيقياً يدعى البروفسور (دي فورمز)، وهو الآن في (نايولي) على قدر علمي.. أنا ممثل، واسمى الحقيقي (ويلكز).. وهناك عرفت كثيرين من الأجانب الفارين، وسكان قاع المجتمع.. وفي ذات مرة تعرفت للفيلسوف الألماني للعجز العظمي (فورمز).. كان مقرراً إلى حد بشع، وقد خطر لي أنني راغب في تقليده مظهراً وسلوكاً.. جربت أن أتكر مثله وخرجت لرفلتي.. كنت أتوقع سماع الضحكات، لكنني قوبلت بصمت مذهل.. لقد حلت بي لغة الممثل الخارق للعادة.. أذهلتهم، ولم يتصور أحد أنني أي شيء سوى بروفسور ألماني عديم.. كنت أفضل منه في هذا الدور، فهو شيخ ولا يستطيع أن يبدو بالضعف الذي يستطيع شاب مثلي أن يبدو به.. كان مشلولاً بحق لكن الشلل منعه من أن يبدو مشلولاً مثلي!

« بعد أيام حلا لي أن أخرج إلى الشارع أجرب شخصيتي الجديدة، لكن رجل شرطة استوقفني وقال لي أنني مطلوب في قسم الشرطة.. قلت بلهجة ألمانية مصطنعة: نعم أنا مطلوب.. لكن من بؤساء الأرض

ذهبنا للمخفر، وهناك عرفت أن شهرة أداتي لدور البروفسور جعلت (سكوتلانديارد) ترغب في ضمي لها.. وكانت هذه هي البداية..

« ومن يومها صرت البروفسور في كل شيء، حتى أنني أجد عسراً في التخلص من مشيئة وطريقة كلامه حتى حين أكون وحدي.. »

\*\*\*

## الفصل التاسع

### الرجل ذو العوينات

قال الرجل الذي كان البروفسور :

- « المفترض أن تلقى غذا للدكتور (بول) لتعرف السر منه ، وهي مهمة أكثر خطورة وعسراً من سرقة جواهر التاج من برج لندن .. إن هذا الرجل - بعد الرئيس - لأخطر أعضاء المجلس وأنكاهم وأكثرهم حدة ، إنه ملئ بالذكاء والحيوية والفحولة . وما كان الأحد أحقق حين أخفى أسراره تحت شعر هذا الرجل ذي العوينات لو أننا أن نخرج سالمين من هذه المقابلة ، فعلياً أن نضع شفرة للتفاهم بيننا بالطرق على المنضدة أو الركبتين .. »

وراح يطرق بيده على المنضدة ويعلم (سليم) تلك الشفرة ، التي ابتكرها من قبل ، ولم يجد (سليم) عسراً في التعلم لأنه كان سريع الفهم شغوفاً بالأفكار ، وفي الحقيقة راح يحلم كثيراً بهذه الطريقة في أثناء النوم .

\* \* \*

كان د . (بول) جالساً إلى منضدة في شقته منهمكاً بالكتابة ، بينما أضواء الفجر تتبدى من وراء ستار النوافذ ، لا يدرى (سليم) لماذا نكره هذا المشهد بالثورة الفرنسية والمقصلة ، وكان الطبيب الجالس هو (مارا) أو (روبسبير) يوقع أوامر الإعدام .. كان يضع عوينات سوداء ببت كأنما في جمجمته فجوتان سوداوان ، وكان رأسه هو رأس الموت ذاته .. فلما رأى الرجلين ابتسم ونهض بخفة ، وتناول معطفاً من على مشجب خلفه وأحكمه على جسده ..

وقال البروفسور بلهجة (دي فورمز) البطيئة :

- « أعذر لإزعاجك في هذه الساعة المبكرة يارفيق .. لكن أعرف أنك أعددت عدة كل شيء لرحلة باريس ، ولدينا أتباء لا تحتمل التأجيل .. »

ابتسم الدكتور (بول) ولم يتكلم .. فواصل البروفسور الكلام في وهن :

- « إن الرفيق (سليم) وأنا لدينا ما يحملنا على أن نطلب منك تأجيل هذه المهمة .. والوقت لا يسمح بالتوضيح لكننا سنشرح لك لو رأيت هذا ضرورياً .. »



كان الطبيب ثابتاً صامئاً إلى درجة حطمت أعصاب (سليم) .. ابتسامته خفيفة ، وإيماءات رأسه مهذبة ، لولا صمته الغريب .. وهنا راحت تأمل البروفسور تفرع على المنضدة وقرأ (سليم) الرسالة : هلم خذ دورك أنت .. فقد امتصني هذا الشيطان حتى الجفاف !

قال (سليم) في شجاعة مرتجلة :

- « الحقيقة أن الحظ أسعنى بمقابلة مخبر ، حسبني شخصية مهمة .. دعوته إلى الحانة وقمت له الكثير من الشراب حتى اتحلت عقدة لسنته .. وقال لى إنهم يتوقعون خلال أيام أن يعقلوا الماركيز فى فرنسا .. »

هنا أشار له البروفسور أن يتركه يستمر من هذه النقطة .. وكانت أعصاب الرجلين موشكة على الانفلات من نظرات الرجل الثابتة وابتسامته المهذبة ..

شيء ما بدأ يتلاعب فى نفس (سليم) .. نوع من وحى الشعراء ، ثم تحول هذا إلى يقين ..

مال إلى الأمام وصاح بصوت أمر :

- « دكتور (بول) .. هلا نزعنا عوينتك من فضلك ؟ »

وثب البروفسور من مكانه وقد نسي شلله ونظر فى زعر غاضب إلى (سليم) .. لكن (سليم) كان الآن كرجل وضع ثروته وشرفه على مائدة القمار وهو بانتظار نهاية اللعبة .. ومن دون كلام مد الدكتور يده إلى عويناته ونزعها .. كان المشهد لا يصدق .. كأنما الرجل تحول إلى ضفدع أمام عينيها .. بالواقع لم يكن المشهد أقل غرابة .. لقد كان الوجه الذى طالعهما وجه صبى .. صبى فى ملامحه براءة وطيبة لا تخفيان على أحد ..

وهتف (سليم) فى جنل :

- « أنا شاعر وحنسى لا يخطئ !! كنت أعرف هذا !! فقط العوينات السوداء هى ما أعطاه سميت الشياطين بينما وجهه وسيم نسيم .. »

عاد البروفسور للكلام مرتجفاً :

- « نعم .. إنها تحدث فارقا .. والآن بخصوص العمليات يا دكتور .. »

- « سحقاً للعمليات ! ألا ترى وجهه ؟ إنه منا !  
سأخاطر بهذا بنفسى .. »

ووضع البطاقة الزرقاء اللمعة على المنضدة ،  
فاتفجر الطبيب ضاحكاً ، وللمرة الأولى سمعوا  
صوته :

- « يسعدنى أنكما جنتما مبكرين أيها الشابان ..  
يمكننا الذهاب لـ ( باريس ) مغاً .. »

وطوح ببطاقة زرقاء مماثلة إلى المنضدة .. هنا هتف  
( سايم ) فى ذهول وهو يضرب الجدار بقبضته :

- « إذن كان هناك مخبرون أكثر من مفجرى الديناميت  
فى ذلك المجلس اللعين ! »

- « إذن كنا أربعة ضد ثلاثة .. »

قال البروفسور :

- « بل كنا أربعة ضد واحد لا قبل لنا به .. »

قال الطبيب بلهجة ذات معنى :

- « واحد من هؤلاء الثلاثة لا ينتمى للبشر .. »

وحكى لهم الطبيب كيف أنه التحق بشرطة مكافحة  
الفوضويين ، لكن شكله كان مبنوساً منه لأنه يبدو  
( ككلاستور لبريطانى ) كما قلوا .. لا يوحى إلا بالفضيلة  
والتهذيب ، وهو بهذا فاشل تماماً ولن يصدق أحد  
أنه فوضوى ، مهما قال أو فعل .. لكن القائد العبقري  
الذى يجلس فى غرفة مظلمة والذى لم يره أحد قط ،  
قال لهم إن عوينات سوداء تكفيه .. كتفان عريضان  
وشعر قصير ، وسوف يصرخ الأطفال حين يرونه  
فى الشارع ..

كان الرجل عاصفة بحق ، ولم ير ( سايم )  
ولا البروفسور متى وكيف حجز التذاكر ، ولا أخذهم  
إلى الميناء .. فجأة وجدوا أنفسهم فوق القارب  
المتجه إلى ( كاليه ) .. قال لهم الدكتور :

- « لقد سبقنا الماركيز حاملاً القبلة ، لكننا منلحق  
به فى الوقت المناسب .. »

- « وماذا نفعل وقتها ؟ »

## المُصَلِّ العاشر

### المبارزة

كأنت مغنويات ( سايم ) عالية بشكل لا يمكن تفسيره .. فقد استقر رأيه على الطريقة الوحيدة المثلى لتعطيل الماركيز .. لقد اتجه إليه وهو جالس مع نبيلين فرنسيين في أحد الأندية ، واتهمه بأنه أهاته ، وأنه يرغب في جذب أنفه ( وهي دعوة للمبارزة ) .. قال الماركيز في حيرة :

- « كيف أهنتك ؟ إننى كنت أتكلم مع السيدين عن ( فاجنر ) ، وقلت إننى أحب أن أسمعنه حين يعزف جيداً .. »

- « هذا هو ! لقد أهنت أسمى .. فهي كانت تعزف ( فاجنر ) بصورة سيئة ! »

- « وأبدت إعجابى بالفتاة ذات الشعر الأسود .. »

- « أعتقد أن علينا تسليمه كمفجر قنابل .. لكن هذا ليس بوسعى لأننى مرتبط بقسم للسكرتير ، وهو أنص رجل فى الكون - ربما بسبب سوء هضمه أو بسبب ميله للهدامة - إنه فى جهنم بالفعل ، وأنا لا أستطيع أن أحتث بوعدى مع رجل كهذا ، لأننى أكون كمن يطلق النار على مريض جذام .. »

قال ( سايم ) :

- « وأنا كذلك مرتبط بقسم لا أستطيع لتحرر منه .. لا يمكننى إبلاغ الشرطة .. »

قال البروفيسور :

- « وأنا كذلك .. لقد ارتكبت جل الآثام حين كنت ممثلاً ، لكننى لا أنوى الحثث بالقسم أبداً .. »

اتضح لهم موقفهم الآن بوضوح أكثر .. من الواضح أن عليهم أن يتصرفوا بعيداً عن الشرطة ، وفى الغالب لن يكون أمامهم إلا خطف الماركيز أو تعطيله إلى أن يرحل قبصر روسيا فى سلام ..

\* \* \*



- « أنت مصر على إهتتى ! أمتى كتبت حمراء الشعر ! »

وفهم الرجال أن الفتى ثمل ، وأنه يريد الاستفزاز لمجرد الاستفزاز .. فلا بأس من تعليمه درساً قاسياً .. وسرعان ما قبل الماركيز تحدى الفتى للمبارزة .. المبارزة التى اشترط الفتى أن تتم بالسيف ، وفى الساعة السابعة صباحاً ..

كان يعرف أن الماركيز بارع بالتاكيد فى المبارزة ، لكنه على الأقل يستطيع تعطيله .. فلو طالت المبارزة ، لما استطاع الرجل اللحاق بقطار الساعة والنصف المتجه إلى باريس ، وبالتالي يلفد موكب الرئيس وضيغه .. وكان أن الماركيز اشترط أن تتم المبارزة فى مكان قريب من خط السكة الحديدية ، ومعنى هذا أنه قرر أن يتخلص من خصمه سريعاً ثم يشب فى القطار ..

وفى الصباح اتجه ( سايم ) إلى مكان المبارزة مع شاهديه : الطبيب والبروفسور .. كان الربيع فى بداية جماله ، وتناقضت الخضرة والزهور الصفراء الياضعة

بشكل لا يوصف مع ثياب الشهود السوداء وقبعاتهم العالية ..

- « فلنبداً ! »

قالها الماركيز فى نفاذ صبر وأطاح بزهرة بطرف سيفه .. كان ( سايم ) بحاجة إلى عشرين دقيقة لأكثر ، يمنع فيها الماركيز من قتله ، وربما يحاول أن يؤذيه .. بعد العشرين دقيقة يكون القطار قد رحل ..

- « التهم !! »

قالها الماركيز وهو يلوح بسيفه .. وسرعان ما راح السيفان يتقارعان .. كان ( سايم ) يدرك مدى براعة خصمه وقوته ، وقدر أن هذه فى الغالب آخر ساعة له فى الحياة .. لكنه فى هذه اللحظة شعر بحب عارم للكون .. حتى كان يوسعه أن يشعر بالعشب تحت قدميه ينمو ..

كان الماركيز يحارب وعينه تنظر من آن لآخر إلى خط السكة الحديدية وراء ظهر ( سايم ) ، وفجأة بدا

عجولاً نافذ الصبر إلى درجة أنه بدا كأنما يهاجم بمئة سلاح في الآن ذاته .. لم يحتج (سايم) إلى النظر للوراء ، فالأمر واضح .. إن قطار (باريس) قد ظهر الآن .. وهذا شئت انتباه للمركيز إلى حد ما ..

يوشك (سايم) أن يقسم أنه طعن خصمه أكثر من مرة ، بل إنه في مرة من المرات كاد يكسر السيف وهو يولجه في جسد المركيز ، لكن الرجل تراجع للوراء وواصل الهجوم ، ونظر (سايم) لسيفه في حيرة .. ولا نقطة دم واحدة .. جن جنونه وقرر هذه المرة أن يوجه اهتمامه لعنق المركيز .. سدّد ذوابة السيف إلى حنجرة الرجل وأغمدتها بقسوة وإصرار ، فلما انتزعها لم ير نقطة دم واحدة ..

انتاب (سايم) ذعر خارق للطبيعة .. صحيح أنه أصيب بذعر مماثل أمس حين حسب الرجل المشلول يركض وراءه ، لكنه الآن يوشك على الاعتقاد بأن هذا المركيز شيطان .. ربما هو الشيطان ذاته ..

الآن يتعالى صوت صفارة القطار وهو يتوقف في المحطة القريبة ..

فجأة توقف المركيز عن القتال وألقى بسيفه صائخاً :

- « لحظة ! أريد أن أتكلم .. لقد جاء هذا الشاب أمس وطلب أن يشد أنفي ، وأنا الآن أعطيه هذه الفرصة .. »

في حلق صاح الدكتور :

- « لكن هذا فعل غير لائق .. »

- « لكنني أعرضه عليه الآن .. إن الموضوع بالغ الأهمية ، ولسوف يسوى ما يحسب أنفي الحقته به من مهانة .. فهل ترغب في شد أنفي أم لا ؟ »

واتحنى للأمام وقرب أنفه الأرسقراطي من الفتى ، فنظر (سايم) حوله في تردد ثم اعتصر الأنف كأنما ينزعه من مكانه وشده إليه .. وفجأة خرج الأنف ليستقر حرّاً في يده ..

اتفجر المركيز ضاحكاً وصاح :

- « لو كان هناك من يفيد من حاجبي الأيسر فعليه به .. »

ومد يده ببساطة ليسلخ حاجبه الأيمن ومعه جزء  
لا يستهان به من وجهه .. هنا صاح أحد شاهديه في  
اشمئزاز :

« لو كنت أعرف أنني أعمل لدى جبان يلف  
نفسه بالضمادات من أجل المباراة !! لهذا لم تدمك  
أية طعنة ! »

« أنت مخطئ .. لكن لا وقت للتفسير .. فقد  
وصل القطار .. »

كان الآن يبدو كقزاعة لها نصف وجه مسلوخ ،  
تقف ملوحة بذراعيها .. ومزق الجمة التي يضعها  
على رأسه في هستيريا .. وهتف :

« أنا لا أهتم بالقطارات .. لا أهتم بأن ألحق  
بالقطار ، لكنني أهتم بأن يلحق القطار بي !! »  
« وما معنى هذا ؟ »

« يعني كل شيء .. إن الأحد يضفنا الآن في  
راحة يده .. »



ومد يده ببساطة ليسلخ حاجبه الأيمن ومعه جزء  
وجهه .



- « نحن .. ما معنى نحن ؟ »

- « الشرطة طبقاً .. »

وكشف رأسه بالكامل ، وكان شعره أشقر قصيراً  
لامعاً منسقاً ، كشعر كل كونستابلات الشرطة ..

- « أنا المفتش (راتكليف) .. والشرطة تعرف اسمي  
جيداً ، ومن الواضح لى أنكم من الشرطة .. لكن لو كنتم  
تشكون فى شخصيتى فإلركم البطاقة الزرقاء .. »

فى تعب وسأم لوح البروفسور بيده :

- « أوه .. لا ترنا إياها .. إن لدينا أطناناً منها ! »

وهتف (سليم) فى دهشة :

- « رباه ! لكن معنى هذا أن كل مجلس لفوضويين  
هو من المخبرين .. لم يكن هناك فوضوى واحد  
سوى الأحد .. ما معنى هذا ؟ »

- « معناه أن الأحد أذكى منا جميعاً .. يضع كل  
المخبرين فى مجلس واحد ، ويتركهم يراقبون بعضهم ،

بينما المجلس الأعلى ليس أعلى على الإطلاق ..  
كان يمسك الخيوط كلها ويعرف كل شىء ، بينما  
نحن نلعب المسابقة كالأطفال الحمقى .. أما عن  
الشىء الذى يهمنى فى القطار ، فهو أثنى أعرف أن  
الأحد وسكرتيه غادرا هذا القطار الآن بالذات !! »

ثم إنه نظر بعيداً ، ومد يده فى حقيبتة ليخرج  
منظاراً مقرباً ووضعته على أنفه ، وقال :

- « كما توقعت .. إن الأحد قادم إلينا من المحطة  
ومعه عصابة من رجاله .. »

تناول د. (بول) المنظار ونظر بدوره ، ثم قال :

- « ربما كنت تبالغ .. ليس الأحد بينهم ، وقد  
يكون هؤلاء مجموعة من السباح يمشون فى  
اتجاهنا .. »

- « لو كان هذا صحيحاً ، فلماذا يغطى كل منهم  
نصف وجهه بفتاع أسود !!! »

## الفصل الحادى عشر

### المجرمون يطاردون الشرطة

سأل ( سايم ) الماركيز ، بينما هم يركضون بين الأشجار :

- « هل لى أن أعرف إلام قرارنا ؟ »

- « إلى مكان لا يسيطرون عليه .. إن أصابع الأحد فى كل مكان .. ربما لم يفلت منه سوى هذا المرج الذى تركض فيه ! »

- « لا أصدق هذا .. مستحيل أن يكون كل العالم قد صار فوضوياً فجأة .. »

- « أنت تقع فى الوهم الشائع أن الفقراء يمكن أن يكونوا فوضويين .. الفقراء قد يصيرون ثواراً لكن الفوضويين يأتون من صفوف الفلاسفة الأشرار فقط .. الفقير تهمة الأرض أما الفوضى فلا .. يمكنه فى أى لحظة أن يهجر وطنه ويرحل إلى ( نيو غينيا ) مثلاً .. »

الفقير يغضب حين يكون نظام الحكم سيئاً ، أما الفوضى فلا يريد أى نظام حكم أصلاً .. »

فى النهاية قابلوا خطاباً فرنسياً يعمل ، ومعه عربية امتلأت لنصفها بالحطب .. بعد مسلومة قصيرة ألقوه بأن يقتلهم .. اجتازت العربية أكثر الغابة ، وكانت بطيئة لكن سرعتها على الأقل تفوق الرجل العادى .. وبعد قليل بدأت كثافة الأشجار تقل .. نظر ( سايم ) للوراء فرأى ذلك الحشد من الناس مازال يتبعهم .. حشد غريب من الناس يبدو كل منهم عادى المظهر ، لكنك لو تأملت الطريقة التى يتحركون بها كرجل واحد ، بلا تلك البعثرة المميزة لمسيرات العامة ، لامتلات منهم ذعراً ..

قال الماركيز وقد أدرك ما يفكر فيه ( سايم ) :

- « نعم .. هذه هى لمسة الأحد المميزة .. ربما هو بعيد لكنهم يخشونه كالموت .. لهذا يمشون بانتظام ، ويتحركون بانتظام وربما يفكرون بانتظام .. »

أخيراً يرون البحر ، والمرفأ الصغير المسمى  
( لانسى ) ، ومن خلفهم بدا أن سحابة المطاردین  
السوداء لم يعد لها وجود .. كاد الجواد يصدم أنفه  
برجل عجوز له شاربان كشان أبيضان ، يجلس فى  
الشمس خارج مقهى اسمه ( الشمس الذهبية ) .. فترجل  
الرجال يسألونه أن يسامحهم .. كان هو صاحب المقهى  
الصغير ، وهو من نمط نادر يصعب أن تراه إلا فى  
فرنسا .. رجل طيب سمح القلب يحب الحياة وتحبه ..

هناك استراح الرجال وظفروا ببعض الطعام ، ثم  
حصلوا على جیاد تسمح لهم بمواصلة رحلتهم ،  
والفرار من جيش الفوضويين الذى يطاردهم ..

\* \* \*

كانت الشمس تلون الغرب بمختلف الألوان حين  
وصلوا إلى أقرب مدينة .. وقال لهم الكولونيل - وهو  
فرنسى من أصدقاء الماركيز - إن فى هذا البلد خمسة  
أثرياء ؛ أربعة منهم لصصوص ، والخامس صديق  
شخصى له يمكن أن يقدم لهم العون ، ولديه عربة  
تعمل بمحرك ..

كانوا يتناقشون فى خططهم ، حين صاح ( سايم ) :  
- « لحظة .. ما هذه الضوضاء ؟ »

أصاخوا السمع ، فوصل إليهم ذلك الهدير الصاخب  
الذى لا يعنى إلا شيئاً واحداً : خيول ! وشحب وجه  
الكولونيل ولم يدر ما يقول ، بينما تساءل ( سايم )  
وهو يصرع من خيب الفرس :

- « ومن أين لهم بالخيول ؟ »

- « ربما من نفس المقهى الذى حصلنا على خيولنا  
منه .. لابد أنهم أرغموه على ذلك .. »

كان د. ( رينار ) يعيش فى بيت مريح جميل عند أعلى  
شارع منحدر ، يتيح لك أن ترى القادمين بسهولة .. نظروا  
حولهم ثم قرعوا الجرس .. وكان د. ( رينار ) - حين فتح  
الباب - ميالاً للاستخفاف بمخاوفهم ، وقال إنه لم يسمع  
عن شيء اسمه حركة فوضوية عامة تجتاح البلاد ..

أشار الكولونيل لأعلى وهتف :

- « وهذا ؟ هل هو وهم ؟ »



ونظر الرجال ليروا قوساً أسود كبيراً فوق التل ..  
كان فى الواقع مجموعة من الفرسان على ظهور  
خيولهم .. وبرغم أن المجموعة كانت تتحرك بانتظام  
وسرعة واحدة ، فإن أحد الفرسان كان يتقدم الآخرين  
بفرسه ، وهو يأتى بحركات عدة بيده ، أوحى للأصدقاء  
أنه هو المطارد - بفتح الراء - وليس المطارد بكسرهما ..  
وأدركوا أنه ذلك السكرتير المجنون للأحد ..

صاح الكولونيل :

- « أكره أن أقاطع هذا الحديث الثقافى .. لكننا  
بحاجة إلى سيارتك خلال دقيقتين .. »

ابتسم الطبيب وقال :

- « أشعر أنكم جميعاً مجتئين .. لكن أعوذ بالله من  
أن يفسد الجنون الصداقة .. هلموا إلى المرآب .. »

كانت لديه ثلاث سيارات ، وكان من العسير أن تجد  
واحدة منها تعمل ، لأنه كان قليل الاستعمال لها ، لكن حين  
وجدوا واحدة قابلة للحرك ، كان الظلام قد بدأ يغطى  
الكون .. كان هذا أسرع مما توقعوا فيما أن الوقت مر  
بسرعة خرافية ، وإما أن شيئاً ما حجب ضياء الشمس ..

كانوا الآن يسمعون صوت حوافر ، لكنها حوافر  
جواد واحد ، وخمن الجميع أنه جواد السكرتير المجنون  
الذى تقدم الجمع .. إنه قادم .. اتحشروا فى السيارة  
جميعاً ، وحاول (سايم) أن يديرها فلم تستجب .. هنا  
وصل السكرتير على جواده ، وبابتسامة نصر وقف  
أمام السيارة ووضع يده على كبودها ..

دارت السيارة فجأة مع المحاولة التالية ، وسرعان  
ما طار السكرتير من فوق صهوة جواده عشرين ياردة  
إلى الوراء ، وابتعد الأصدقاء ، على حين امتلأ الشارع  
بالفوضويين على خيولهم ، وسرعان ما ألقوا سكرتيرهم  
من عثرته .. كى يستأنف المطاردة معهم ..

كان الظلام دامساً الآن ، واضطر إلى إضاءة مصباح  
كى يروا الشوارع التى يمشون فيها ، لأن السيارة  
لم تكن مزودة بأضواء .. وقال الكولونيل الفرنسى :

- « لا توجد أضواء تعيد لى البهجة إلا أضواء مخفر  
الشرطة ، الذى سنصل إليه حالا بمجرد الخروج من  
المدينة .. »

كانت بعض المنازل الآن قد أضاءت مصابيحها ، فقال  
الدكتور (بول) :

- « لا تقل لي إن سكان المنازل هؤلاء فوضويون بدورهم .. لو اشتبكنا مع أعدائنا فلسوف يقاتل سكان المنزل معنا .. »

- « لا أظن .. لسوف يقتلون ضئنا .. ولسوف ترى !! »

فجأة دوى صوت طلقة ، وتمر جوارهم خيط من دخان ، ثم سمعوا صوت محركات سيارات من خلفهم !  
قال ( راتكليف ) في كآبة :

- لقد حصلوا على سيارتين من الطبيب .. وهم يطلقون علينا الرصاص !! »

واستطاعوا وسط المطاردة الصاخبة أن يروا وجوه بعض من يطاردهم .. لقد كان بينهم الطبيب الودود ( رينار ) نفسه .. بل وصاحب المقهى الذي حصلوا منه على الخيول !

دفن البروفسور وجهه في يديه وصاح :

- « لقد جن العالم !! »

فقال د. ( بول ) في استكائة :

- « لا .. بل جئت أنا ! »

وهنا اصططمت السيارة بعصود إضاءة فتشمت مقدمتها ، وترجل لرجال .. على الأقل قد حطموا شئنا مثلهم مثل الفوضويين .. ركضوا نحو الشاطئ واستداروا ليواجهوا مطاردتهم .. كان الاتفاق كله يعج بوجوه كارهة غاضبة ، تتلمع في ضوء المصابيح .. وتعالى الزئير الغاضب من بين الأسنان المطبقة .. يبدو أن أصحابنا صاروا أكثر لرجال الملاحين في العلم ، ولسبب يصعب عليهم فهمه ..

- « حتى لو جاء رجال الشرطة الآن فلن يقدرُوا على عمل شيء أمام كل هؤلاء الغاضبين .. »

وجلس البروفسور على صخرة جوار البحر قاتطاً ، وقال :

- « كلهم ذهبوا .. لم يعد أحد عاقلاً ، ويبدو أنني سأذهب أنا الآخر .. لم أعد أضمن ألا ترتفع يدي من تلقاء نفسها لتضربني .. »

رفع ( سايم ) المصباح الذي كان في السيارة عاليًا ، وكان السكرتير قد لحق به غاضبًا يوشك الزيد أن يسيل من فيه ، فصاح به :

- « هل ترى هذا المصباح ؟ أنت لم تضعه ولم تنره ..  
لقد صنعه رجال أفضل منك .. رجال يطيعون الله قلموا  
بصهر الحديد ، وبداخله حبسوا أسطورة النار .. فى  
كل شارع تجد آثارهم .. فى كل خيط من ثيابك تجدهم ،  
يدحضون فلسفتكم المفعمة بالقانونات والفنران ..  
أنت لم تصنع شيئاً .. أنت تدمر فقط .. »

وهوى بالمصباح على رأس السكرتير ثم استدار  
الرجال وراءه وصاح :

- « سيوف ! تريد أن نلقن هؤلاء درساً قبل أن  
نموت ! »

كان السكرتير ما زال متصلباً بعد الضربة التى تلقاها ،  
فلما أفاق تحسس جمجمته وقال بلهجة رسمية امرأة :

- « أنت لا تفهم موقفكم يامستر (سايم) .. إتنى  
أقبض عليكم باسم القانون !! »

- « أى قانون ؟ »

- « أنا مفتش فى سكوتلانديارد .. »

وأخرج من جيبه بطاقة زرقاء لامعة .. فهتف  
البروفسور :

- « إن من نحن ؟! »

- « أنتم أعضاء فى مجلس الفوضويين الأعلى ..  
لقد رأيتم هناك .. »

هتف د. (بول) وهو يلقي بسيفه فى الماء :

- « إن لم يكن هناك قط ما يدعى مجلس الفوضيين  
الأعلى .. هناك فقط رجال شرطة حمقى .. ويبدو أن  
هؤلاء الشباب لطيفي المعشر بطاردوننا لأنهم بحسبوننا  
مفجرى ديناميت .. »

« العامة والفقراء لا يجنون أبداً .. وأنا من العامة  
أنا نفسى .. بالتأكيد لم أجن .. »



## الفصل الثاني عشر

### البحث عن الرئيس

ركب الأصدقاء السفينة متجهين إلى (دوفر) .. كانت لديهم مئات التفاصيل ليحكوها لبعضهم .. حكى لهم السكرتير كيف جعل رجاله يضعون الأقنعة ، كي يشعر الفوضويون بأنهم منهم .. وحكى (سايم) كيف فروا عبر البلاد .. لكن ظل سؤال واحد لا يجدون له جواباً : ما معنى هذا كله ؟ إذا كانوا جميعاً ضباط شرطة فمن هو الأحد إذن ؟

قال السكرتير :

- « لسوف نعرف حالاً .. فالغد هو موعد اجتماعنا الأسبوعي ، وأرجو أن تغفروا لي أنني لا أنسى مهنة السكرتارية .. »

ومن الميناء ركبوا أربع سيارات أجرة ، برغم أن الدكتور - أكثرهم تفاؤلاً - اقترح أن يركبوا سيارة واحدة .. كانوا غريزيًا يشعرون بحاجة ماسة لأن يكونوا معاً .. قضوا ليلتهم في فندق قريب من ميدان (لستر) ، ولم تكن مفاجآت اليوم قد انتهت ؛ لأنهم قابلوا في الفندق (جوجل) .. جاسوس (سكوتلاند يارد) الذي كان يتظاهر بأنه فوضوي بولندي ، وتم التعارف بينهم ..

في الصباح اتجهت كتيبة الأصدقاء الستة نحو الفندق في ميدان (لستر) ، حيث موعد اللقاء الأسبوعي للمجلس .. وقال الدكتور (بول) في مرج :

- « إن الوضع أفضل .. نحن ستة رجال ذاهبين ليسألوا واحداً عن حقيقته .. »

في الشرفة رأوه .. كان أضخم من المعتاد ، وهو جالس يقرأ الجريدة ولا يرفع عينيه .. وبرغم هذا عبروا الميدان في حذر ، كأن مائة عين تراقبهم .. كانوا قد اختلفوا حول (جوجل) .. هل يدخلون من غيره ،

أم يدخلون به ويفجرون الموقف؟؟ واستقر الرأي  
على الأخير .. تساعل السكرتير محتجاً على الفكرة :

- « لماذا تهاجمون الأحد بهذا الاندفاع ؟ »

- « الإجابة سهلة » - قال (سايم) - « لأننا نخشاه

كثيراً .. »

أخيراً بخلوا إلى الشرفه المشمسة ، وإلى عالم الأحد ..  
حياتهم باسمًا وقال :

- « يسعدنى أن أرى كل هؤلاء مجتمعين .. هل  
مات القيصر ؟ »

ابتلع السكرتير ريقه وقال :

- « كلا ياسيدى .. لم تحدث مذابح .. وقد جئنا  
لنعرف معنى هذا كله .. من أنت ؟ ماذا أنت ؟ لماذا  
لحضرتنا هنا ؟ هل تعرف من نحن حقيقة ؟ هل أنت  
رجل محدود الذكاء يتظاهر بالدهاء ، أم أنت عبقرى  
يدعى البلاءة ؟ قل لنا .. »

قال الأحد فى هدوء :

- « تريدون معرفة كل شيء وأى شيء .. سأحاول  
أن أجيب .. أما من أنتم ، فأنتم مجموعة من الحمير .. »  
- « حسن .. وما أنت ؟ »

نهض الرجل فبدأ طوله يجاوز ما هو مقبول  
أو معلوم ، وقال :

تريدون معرفة ما أنا ؟ (بول) .. أنت رجل علم  
مثقف .. يمكنك أن تبحث فى كل شيء .. (سايم) ..  
أنت شاعر .. لكنك ستفهم كل شيء عن هذه الشجرة  
وعن الغيوم فوقنا ، قبل أن تفهم من أنا .. ستفهم  
البحر بينما أظل أنا لغزاً .. منذ بدء العالم والناس  
يطاردوننى كالذئب .. كل الأديان وكل الفلاسفة وكل  
دور العبادة تحاول .. لكن لم يفلح أحد .. »

وقبل أن يدرك الرجال ما يحدث ، تلوى الرجل فوق  
سور الشرفه كئنه (أورنيج لوتان) عملاق .. ثم وثب ،  
قبل أن يهوى تمسك بقضيب أفقى ، وقال :

- « سأخبركم من أنا .. أنا الرجل فى الغرفة المظلمة  
الذى جعلكم جميعاً رجال شرطة ! »

ثم هوى لأسفل نحو حجارة الطريق ، وراح يتوالتب  
مبتعداً ككرة من مطاط ، حتى وصل إلى ( الهمبرا )  
فاستوقف سيارة أجرة ، ووثب داخلها .. ظل الرجال  
متصلبين كأنما صفعهم البرق ، ثم استعاد ( سايم )  
روحه العملية ، فتشبث بسور الشرفة ووثب لأسفل  
ونلادى عربة أجرة مارة ..

وسرعان ما كان هو والطبيب فى عربة تتابع  
الرئيس ، على حين ركب الأربعة الباقون عربتين  
أخرين ..

كانت عربة الرئيس تركض بسرعة محمومة ،  
وبدا أن الحوضى تحت تأثير قوة كاسحة ، إلا أنه  
أبطأ قليلاً ، فانتشل منه الرئيس السوط ، ووثب إلى  
مقعد القيادة ، وراح يجلد ظهر الجواد كي يندفع فى  
جنون عبر شوارع ( لندن ) ..

استمرت المطاردة ، وشعر الأحد الأبيض يتطاير فى  
الهواء ، ثم إنه نظر للوراء وتقلص وجهه فى تعبير  
مربع كأنه طفل عملاق يضحك .. وكور ورقة وقفها

فى وجه ( سايم ) .. مد ( سايم ) يده وفتحها فوجد  
خطابين قصيرين ، أحدهما موجه لدكتور ( بول ) يتكون  
من عبارة واحدة :

ماذا عن ( مارتن توبر ) الآن ؟ »

أما عن رسالة ( سايم ) فكانت تقول :

« لا أحد يعترض على تدخل الأرشيدوق أكثر منى ..  
أعتقد أن الأمر لن يصل لهذا .. لكن لآخر مرة ،  
أين حذاؤك الواقى من المطر ؟ هذا سيئ خاصة بعد  
ما قلته لك اليم .. »

كان السياق مستمراً ، لكن للمرور كان متوقفاً عند  
نهاية الطريق لحسن حظهم ، والسبب هو أن عربة  
الإطفاء كانت مارة .. فى اللحظة التالية وثب الأحد من  
عربة الأجرة وتمسك بعربة الإطفاء .. وراه الأصدقاء  
يتكلم بالإشارة مع رجال الإطفاء المذهولين ..

- « فنتبع عربة الإطفاء .. من المستحيل  
أن نفقدها .. »



هنا برز الأحد في مؤخرة عربة الإطفاء ، ولثم  
يديه معا ، ثم طوح بورقة مطوية بالضبط لتستقر  
على صدر المخبر ( راتكليف ) .. فتحها الرجل في  
لهفة فوجد المكتوب :

- « اهرب ! لقد افترض أمر حمالة سروالك ! »

وتلقى ( جوجول ) ورقة أخرى فتحها فوجد المكتوب :

« اعتقد أن الكلمة يجب أن تكون : وري »

وثب الأحد من العربة ، وركض متجها إلى سور  
جانبى تسلقه وتوارى خلفه .. كانت هذه بقعة من  
شمال لندن لا يعرفونها ، وقد ترجل للرجال من عربات  
الأجرة .. وجرى ( سايم ) ليتسلق السور خلف الرجل ..  
ثم توقف .. نظر للرجال وصاح بتردد :

- « ماذا لو كان هذا بيت الشيطان العجوز ؟ »

- « سيكون هذا لفضل .. سننال منه في داره .. »

- « لكن .. ألا تسمعون معى أغرب الضوضاء ؟

أليست هذه كلابا تتبح ؟ »



وثب الأحد من العربة وركض متجها إلى سور حاسى تسلقه  
وتوارى خلفه

وفجأة دوى صوت زئير عميق طويل جمد الدم فى عروقهم .. فهز (جوجل) كتفيه وقال :

- « كلاب الأحد لا يمكن أن تكون كلاباً عادية .. »

كان (سليم) قد وثب إلى الناحية الأخرى من السور ، لكنه بقى متصلباً .. وقد تبدلت الضوضاء لتتحول إلى صرخات متعارضة فيها غضب وفيها شكوى .. قال البروفسور :

- « لابد أن هذا المنزل هو الجحيم ذاته .. »

ووثبوا جميعاً إلى الجانب الآخر ووقفوا متصلبين ، وفجأة هتف الدكتور (بول) ضاحكاً :

- « لحظة يا حمقى !! هذه حديقة الحيوان !! »

هنا جاء أحد الحراس ومعه موظف .. كتبا يركضان ممتنعى الوجه ، وسألهم الحارس :

- « ألم يأت من هنا ؟ »

- « من يا سيدى ؟ »

- « الفيل .. الفيل الذى هرب من محبسه ومعه رجل غريب أشيب ضخم كما لم أر رجلاً من قبل .. »  
قال (سليم) :

- « نعم .. ها هو ذا !! »

ونشر إلى الجهة الأخرى من الحديقة حيث كان الناس يركضون هلعاً ، ووسطهم فيل عملاق يلوح بخرطوميه فى الهواء ، ويصدر صوت بوق مريعاً ترتج له القلوب .. وعلى ظهره جلس الرئيس كئنه سلطان هندی ، مسترخياً مستريحاً ، ينخسه بشيء حاد فى يده كى يركض ..

ودوى صوت تحطم عال ، وسرعان ما كان الفيل قرمادى يخترق البوابة ليخرج إلى شارع (الباتى) .. كئنه طراز جديد من الحفلات السريعة .. ركب الأصدقاء سيارة أجرة وراحوا يطاردون ، لكن الأحد لم ينظر للوراء هذه المرة .. كان الناس فى الشارع يصرخون ويتأملون الموكب ، وخطر لأكثرهم أن هذا إعلان عن سيرك ما .. فى النهاية لحق الأصدقاء بالفيل الواقف وسط الزحام ، ولم يكن الأحد فوق ظهره ..

قال أحد السعاة الواقفين في اشمزاز :

- « للرجل الذي كان على ظهر الفيل قد دخل معرض (أبيرت كورت) .. تصور أنه طلب مني العناية بالفيل ، وأعطاني بقشيشًا هذه الورقة .. »

كان المكتوب أعلى الورقة : إلى السيد سكرتير المجلس الأعلى .. أما محتواها فكان :

« حين تجرى الرنجة ميلاً .. دع السكرتير يتسم ..

وحين تحاول الرنجة أن تطير .. دع السكرتير يهلك »

وأشار (سليم) إلى السكرتير كي ينظر إلى السماء .. إلى حيث كان المنطاد المربوط الذي يعرضه للمعرض للزوار .. الآن لم يعد مربوطاً .. كان يرتفع إلى السماء ، واستطاعوا أن يروا الأحد داخله .. يتعد ويتعد ..

وقال (سليم) في ضيق :

- « لنا لم أهزم بعد .. هلموا نقتف أثر هذا اللبون .. »

\* \* \*

## الفصل الثالث عشر

### الستة الفلاسفة

راح الستة الفلاسفة يركضون وراء المنطاد ، وهم ينظرون إلى السماء .. لقد قرروا ألا يركبوا سيارات أجرة ، لأن هذا يقيدهم لو حلق المنطاد فوق غابات أو طرق غير ممهدة .. كانوا مرهقين لكن مصممين ، وقد تحول كل منهم إلى شبح يصعب ألا تعبره متشرداً .. وشهدت هذه الأحراش النهاية المأساوية للبليلة التي دخل بها (سليم) حديقة الزعفران .. وتهشمت قبعته الأنيقة ..

قال للبروفسور :

- أتمنى لو تنفجر هذه البالونة القبيحة .. »

قال د. (بول) :

- « لا .. لا أتمنى هذا .. ربما تؤذى الصبي العجوز ..  
فأنا لا أتمنى أن يؤذى »



- « ماذا ؟ هل تصدق هذا الهراء عن كونه الرجل  
فى الغرفة المظلمة ؟ الأحد يمكنه أن يزعم أنه كان  
أى شخص .. »

- « لا أرى إن كنت أصدق هذا أم لا .. لكنى لا أريد  
لمنطاده أن يتفجر .. ربما لأنه رائع كأنه منطاد هو  
الآخر .. »

قال د. ( بول ) فى قنوط :

- « لا أصدق حرفاً عن كونه ذات لرجل لذى أعطى  
بطاقتنا الزرقاء .. يجعل هذا كل شيء هراء .. لكنى  
مازلت أشعر بالعطف على هذا الأحد البائس .. كأنه طفل  
مكتنز .. حقاً لا أستطيع شرح سبب عطفى عليه ..  
هل أقول إننى أعطف عليه لأنه .. لأنه بدين !!! »

د. « لا أفهم .. »

- « نعم .. نعم .. لأنه كالمنطاد .. نحن دوماً نفكر  
فى البدينين باعتبارهم ثقيلى الحركة .. لكن هذا لرجل  
قادر على أن يرقص الباليه .. إن القوة الحقيقية تأتى  
من الحيوية .. كما يثب الفيل فى الهواء كالجنبد .. »

نظر ( سليم ) للسماء وقال :

- « فىلنا بالفعل يخلق فى السماء كالجنبد .. »

- « وهذا هو ما يحتملى على لقول إننى أحب الأحد ..  
لأنه وثاب .. »

ساد صمت ، ثم قال السكرتير بصوت منهك :

- « أتم لا تعرفون الأحد جيداً ، وربما لأنكم خير منى  
ولا تعرفون الجحيم .. كنت معه من البداية ، والرجل  
الذى يجلس فى الظلام اختارنى من البداية لأن لى كل  
ملاح المتأمرين .. لأن ابتسامتى عرجاء ، وعينى كنيبتان  
حتى حين أضحك .. ثمة شيء ما فى راق لكل هؤلاء  
الفوضويين .. وحين قابلت الأحد وجدته موحياً بالحزن ..  
كان يذخن وحده فى غرفة معمة الإضاءة ، كنيبة أكثر  
من تلك للظلمة الداجية التى يجلس فيها رئيسكم .. كان  
جبلأً آدمياً يصفى لى دون حراك أو كلمة واحدة .. رحت  
أقدم له أوراق اعتمادى وراح يصفى لى طويلاً ، ثم  
راح يهتز .. حسبته يهتز من فعل مرض غامض .. يهتز  
كأنما هو نوع من الهلام المقرز .. ذكرنى بتلك الكتل

البروتوبلازمية التي تعيش في أعماق البحر .. كانه الصورة النهائية للمادة .. وخطر لى أنه من الممكن لكائن كهذا أن يتعذب ، ثم فهمت أن الكائن المريع يضحك .. ويضحك على أنا .. وتريدون أن أغفر له هذا ؟ ليس هينا أن يسخر منك شيء لحظ وقوى منك .. «

هنا جاء صوت المفتش ( راتكليف ) الواضح :

- « أنتم تعقدون الأمور .. إن الأحد غريب حقاً لكنه ليس من عجائب سيرك ( بارنوم ) كما ترعون .. لقد تكلم معى بشكل عادى مهنب .. لكن ما أثار رعبى هو أن غرفته منسقة .. ثيابه منسقة .. لكنه شارد الذهن .. أحياناً ينسى أنك موجود .. أحياناً تسمى عيناه الذكيتان .. وشرود الذهن مخيف لدى الأشرار ، لأننا لانستطيع التفكير فى شرير يحلم .. لانستطيع التفكير فى شرير غير متوقد الذهن .. هذا هو ما يمتحن أعصابك .. أن يجتمع للتجريد العقلى مع الشر والقسوة .. الحيوانات نفسها لا يشرود ذهنها .. إنها تتركك أو تهاجمك .. كيف تحب أن تمضى عشر ساعات مع نمر شارد الذهن ؟ »

سأل ( سليم ) :

- « وما رأيك فى الأحد يا ( جوجول ) ؟ »

قال ( جوجول ) :

- « لا يمثل لى التفكير فى الأحد أكثر من النظر إلى الشمس عند الظهيرة .. »

- « هذه وجهة نظر .. وماذا عنك يا بروفيسور ؟  
قل لنا رأيك فى الأحد .. »

بعد صمت طال ، قال البروفيسور :

- « شيء لا أستطيع التعبير عنه بوضوح .. شيء بالأحرى لا أستطيع التفكير فيه بوضوح .. لقد خطر لى أن وجه الأحد كبير جداً ، لكنه كذلك مفكك جداً .. الوجه كبير جداً بحيث يصعب أن تستوعبه ، والعينان متباعدتان جداً .. الفم يجب أن تفكر فيه بشكل مستقل .. كل شيء عسير بصعب وصفه .. »

« كنت لمشى ذات مرة ليلاً ووجدت مصباحين بينهما شجرة ، فخطر لى أن هذا المشهد يشبه الوجه البشرى ،

ثم دنوت منه أكثر فرايت أنه لا وجه هناك .. لقد  
فر الوجه منى وتناثر يميناً ويساراً .. صار شجرة  
ومصباحين ..

« وقد خطر لى وقتها أنه لا يوجد شيء يدعى لوجه ..  
لربما لو دققت النظر فى وجهك يا (سليم) لتفكك إلى  
عناصره الأساسية ولم يعد هناك .. لم أعد لومن  
بالأشياء المادية .. »

قال (سليم) وهو ينظر لأعلى وعيناه على المنطاد :

« هل لاحظتم ما فى هذا من غرابة ؟ كل واحد  
منكم رأى بشكل مختلف .. لكن كل واحد وجد شيئاً  
واحداً يشبه بالكون ذاته .. (بول) يجده كالأرض فى  
الربيع .. (جوجل) يراه كشمس الظهيرة .. السكرتير  
يشعر بأنه بروتوبلازم .. المفتش وجده يمثل شرود زهن  
الأحراش .. البروفسور قال إنه يتغير كمشهد طبيعى ..  
أما الأغرب فهو أننى أرى الأحد كأنه الأرض كلها ..

« لم أر الأحد إلا من ظهره ، وحين رأيت ظهره عرفت  
أنه أشد رجل على ظهر الأرض .. رأسه يوشك ألا يكون

أنيباً .. خطر لى أن هذا ليس بشراً بل هو وحش يرتدى  
ثياب إنسان .. ثم رأيت وجهه فأتار هلعى .. ليس لأنه  
جميل ولا لأنه شنيع ، بل لأننى شعرت أنه قناع لا أكثر ..  
وبأن ظهره هو وجه بلا عينين يرمقنى طيلة الوقت .. كان  
هذا مريعاً .. كان هذا أشنع ما شعرت به فى حياتى ..

« هل تعرفون سر العالم ؟ السر هو أننا لم نره إلا من  
ظهره .. هذه ليست شجرة بل هى ظهر شجرة .. هذه  
ليست سحابة بل خلفية سحابة .. كل شيء يدارى  
وجهه ، فقط لو أننا تمكنا من الدوران حوله .. »

ثم صاح صائح أن المنطاد يهبط .. رأوا المنطاد  
يتصلب فى السماء ، ثم يهوى ببطء كشمس غاربة ،  
وراء حزام الأشجار .. هتف (جوجل) :

« لا بد أنه مات »

غمغم السكرتير :

« مستحيل .. إنه لا يموت بسهولة .. سنجده يركض  
فى المرج ، راکلاً بساقية فى مرج كالمهر .. ربما  
بحوافره كذلك مثل (بان) إنه للمراعى عند اليونان .. »



قال (سليم) :

- « إنه هناك .. فلنظفر به .. لو اتضح لنا أنه خدعنا كالعادة ومات .. أوه .. سيكون هذا مؤذياً .. »

هنا أدرك الرجال أنهم ليسوا وحدهم هنا .. كان هناك رجل فارح القامة ، يمشى نحوهم ، منحنيًا على شيء غريب لقرب إلى الصولجان .. يلبس ثيابًا أنيقة لكنها عتيقة الطراز ، لونها ظل ما بين البنفسجي والرمادي .. وكان شعره أبيض شائبًا يعطى الانطباع الأولي بأنه رش مسحوق .. قال لهم :

- « يا سيادة .. إن سيدي يبلغكم أن عربته تنتظركم خارج هذه الأحراش .. »

- « ومن هو سيدك ؟ »

- « قال لي إنكم ستعرفونه .. »

نظر له (سليم) مرارًا فلم ير ما يريب في مظهره ، عدا أن وجهه كان له ذات لون السماء ، وسترته لها ذات انعكاس ألوان الشجر .. مشى الرجال خلفه ما بين الأشجار ، فإذا به يتجه إلى طريق له لون أبيض ، يقف به صف من العربات .. كتبت ست عربات ، ولحده

لكل واحد من هذه المجموعة البائسة .. وجوار كل عربة كان خادم متأنق بلباس الكبرياء ، ليس له سمت الخدم وإنما سمت سفراء الملوك ..

تساعل (بول) :

- « ما معنى هذا ؟ هل هي مزحة أخرى من الأحد ؟ »

قال (سليم) وهو يغطس وسط الوساخ في عربته :

- « لا أفرى .. لكن لو كتبت مزحة فهي متقنة حقاً .. »

وكان المغامرون الخمسة قد اعتادوا أقسى الظروف وأشد ألوان المعاناة ، لكنهم لم يتوقعوا أن يجدوا فجأة كل هذا الترف والراحة .. ووجد (سليم) نفسه وحيداً في الغرفة وسط ظلال الأشجار ، فاسترخى تماماً .. لم يعد هو المكلف بالقيادة بل هناك من يتولى الأمر ، ومن ثم يمكنه أن يسترخى تماماً ..

لقد خرجت العربات من نطاق الأشجار ، ثم بدأت تتسلق هضبة تحيط بها الأشجار على الجانبين ، لكنها أشجار أكثر أناقة من أن تكون غابة .. أشجار ظل مصطفة

بغاية كما ينبغي لأشجار الظل أن تكون .. وخطر له كم هو جميل أن يتسلق للصبية هذه الفصون ويلهوا عليها ..

ثم لاح البيت من بعيد ، صغيراً لكنه أتيق في ضوء الشمس التي بدأت تغرب ..

فيما بعد قارن الأصدقاء ذكرياتهم عن المكان ، واختلفوا كثيراً ، لكنهم أجمعوا على أنه نكرهم بطفولتهم الأولى .. ربما هي الأشجار وربما هو شكل النوافذ ، لكن فيما بعد أكد كل واحد منهم أنه يذكر هذا المكان قبل أن يذكر أمه ..

خرج لهم رجل وقور أشيب ، وقال له ( سايم ) :

- « ستقدم لكم المرطبات في غرفكم »

وجد ( سايم ) نفسه يمشي كالمنوم مغناطيسياً وراء هذا المرافق المهيّب ، وارتقى درجات السلم المصنوع من خشب البلوط .. دخل غرفة واسعة مريحة في ركنها مرآة .. اتجه هناك كي يسوى شعره وربطة عنقه ، لكنه أصيب بذعر من هيئته الشنيعة بالدم الذي يسيل

من وجهه حيث خدشته الفصون ، وشعره منتصب كالشيب الأصفر ، وثيابه ممزقة كلها .. هنا دخل الغرفة خادم مهذب في ثياب زرقاء ، وقال :

- « قد أعدت ثيابك يا سيدي .. »

- « ثياب ؟ ليست عندي ثياب إلا هذه .. »

وضع طرفي سترته ودار حول نفسه متهمكاً كما تفعل راقصات البالية .. فقال الخادم :

- « يقول سيدي إن هناك حفلاً راقصاً عظيماً الليلة .. وهو يرغب في أن ترتدي هذه الثياب وتتناول وجبة من ( الفيزان ) البارد لأن ثمة وقتاً قبل العشاء .. »

- « كل هذا رائع ، لكني لا أشتهي شيئاً من هذا .. كل ما أريد معرفته هو أين أنا وما معنى هذا كله ؟ وأين تلك الثياب المعدة لي ؟ »

مد الخادم يده ، وقدم له ( سايم ) رداء طويلاً أخضر اللون على صدره رسم كبير للشمس ، تخرج منها نجوم وأهلة ، وقال في لطف :

- « ستلبس مثل يوم الخميس ! »

- « ألبس مثل يوم الخميس ؟ »

قالها (سليم) في تأمل ، فقال الخادم في حماسة :

- « إنه ثوب دافئ يصل حتى ذقنك .. »

تنهد (سليم) وقال :

- « حسن .. لا أفهم أى شيء .. لقد اعتكت المغامرات

للمتعة ، حتى إن المغامرات المريحة ترهقنى بحق .. لكن

ربما كان من حقى أن أسأل لماذا ألبس مثل الخميس ،

ولماذا يكون الخميس هو يوم الشمس والقمر ؟ لقد

رأيت القمر ذات مرة يوم الثلاثاء .. »

وجلس على مقعد وقال لنفسه :

- « الأمر يزداد تعقيداً .. من هؤلاء القوم الذين

يقدمون (الفيزان) البارد وعباءات طويلة خضراء ؟ »

- « هل أساعدك فى ارتداء ثيابك يا سيدى ؟ »

- « ليكن .. »

وبرغم أن (سليم) لم يحب هذه الملابس المخيفة ،

فإنه شعر براحة وهو يرقل فى الثياب الخضراء

والذهبية ، وعرف أن عليه أن يحمل سيفاً ، فأعاد

هذا أحلاماً طفولية إلى نفسه ..

وخرج من الغرفة فطوح العباءة على كتفه ،

واتخذ سيفه زاوية حادة .. كان الآن كأحد الفرسان

الشعراء القدامى ، إذ إن ثياب التتكر هذه لم تكن

تخفى الحقائق بل تظهرها ..

\* \* \*



## الفصل الرابع عشر

### الذي يتهم

إذ مشى (ممايم) عبر العمر رأى السكرتير يقف فوق درجات سلم هائل .. كان يرتدى عباءة طويلة من الأسود الذي لا نجوم فيه تتدلى من نطاقه حزمة بيضاء .. كأنما يلبس أحد الأبواب الكنسية .. وتذكر (ممايم) أن يوم الاثنين في التوراة ، هو يوم أخرج الله للنور من الظلام ..

وما أثار دهشة (سليم) هو أن سحنة السكرتير كانت مرتبطة حقاً بالأبيض والأسود .. بطبيعته الباردة للمجنونة التي تجعله يشن حرباً على الفوضويين ، وبرغم هذا يخدع من يراه باعتباره منهم .. ولم يندهش (سليم) لأن عيني الرجل ظلتا صارمتين قاسيتين برغم كل ما يحيط بهما من غرائب ..

ولو أن (سليم) رأى نفسه الآن لخطر له أن الثياب أظهرت حقيقته ولا شيء سواها .. فلو كان السكرتير



كان الآن كما حد الفرمسان لشعراء العدمي .. إذ أن باب السكر هذه لم تكن تغطي الحقائق بل تظهرها ..

هو الفيلسوف الذي يمشى النور الأولى عديم الشكل ،  
فإن ( سايم ) كان هو الشاعر الذي يمشى الأشكال  
الخاصة للنور .. أن يراه شموستا ونجومنا وأهله ..  
الفلاسفة يحبون ما ليس محدداً بينما الشعراء يحبون  
ما هو محدد ..

لمحا في هذه اللحظة ( راتكليف ) ، وكان في عباءة  
خضراء ربيعية تبدو كأنها هي غابة من الأشجار ، كان  
وجهه السطح الودود يمشى تماماً مع هذا الثوب ..

اقتيدوا إلى مخرج واسع يقود إلى حديقة إنجليزية  
كبيرة جداً .. يرقص فيها حشد من القوم بأزياء عديدة  
الألوان ، على ضوء المشاعل .. وكاد ( سايم ) يرى  
كل مظاهر الطبيعة على كل ثوب من هذه الثياب .. رجل  
يلبس كفيل ، ورجل يلبس كطاحونة .. ورجل يلبس  
كمنطاد .. بالواقع كان هناك كثيرون يلبسون ثياباً  
تذكر ( سايم ) بما مر به من مغامرات ..

على جانب المكان كانت هناك شرفة خضراء كبيرة ..  
وبها كانت سبعة مقاعد مصفوفة كالللال ، تمثل

الأيام السبعة .. وكان ( جوجول ) والدكتور بالفعل على  
مقعدين منها ، و ( جوجول ) يلبس عباءة تتشقق من  
فوق جبهته إلى الجانبين ، لونها لزرقي رمادي كالمطر ..  
بينما كان البروفسور يلبس عباءة رسمت عليها أسماك  
عديدة وطيور استوائية غريبة ، كأنما تشير لما في  
شخصيته من مزيج من الخيالات والشكوك .. أما  
د. ( بول ) فكان يلبس عباءة عليها أسماك ووحوش  
قديمة ملونة بالأحمر والذهبي .. وقد استرخى في  
مقعده موحياً بكل ما في شخصيته من تفاؤل ..

ولحداً تلو الآخر اقتيد الضيوف إلى مقاعدهم ، فكلما  
جلس واحد تعالى زئير حماسي من المشاهدين ، كأنما  
هو استقبال الملوك .. اهتزت المشاعل وقرعت الكنوس  
وطارت القبعات ذات الريش في الهواء ..

لكن المقعد الأوسط كان خالياً .. ( سايم ) على يمينه  
والسكرتير على يساره .. نظر الأخير عبر المقعد إلى  
( سايم ) وزم شفتيه :

- « لسنا واثقين إن كان قد هلك في الحقل أم لا .. »

ما إن قُبلت هذه الكلمات ، حتى لمح (سليم) في  
وجوه الواقفين ذعراً حقيقياً .. كأن السماء انفتحت  
خلف رأسه .. ولا يدري كيف مر الأحد بخفة وصمت  
بينهم حتى جلس إلى مقعده ..

كان يرتدى الأبيض ، وشعره شطة بيضاء تحيط  
بجبهته .. وهنا عاد الرقص بشكل محموم ، وبدأ  
كأنما كل اثنين من الراقصين يرقصان رقصة خاصة  
متفردة ، تحكى قصة مختلفة .. وأخيراً بدأ الزحام الكثيف  
يتفرق .. بدأ كل اثنين يجولان في ممرات الحديقة ،  
أو وقف الرجال يدخلون في أنية كبيرة غريبة ..

فوق كل هذا راحت نار خلوية عملاقة تتوهج في  
سنة معدنية ، فأضاءت المكان على بعد أميال ، وبدأ  
أنها تضيئ جواً من الألفة على المكان ، وتبعث  
الدفء في قلب الليل ذاته .. وسرعان ما لم يبق في  
الحديقة إلا عشرة متمسكين .. سرعان ما صاروا  
أربعة .. وبعد قليل توارى آخر ضيف مع رفاقه في  
داخل المنزل ، وهمت النار وازدادت النجوم تألقاً ..

وبقى الرجال السبعة وحدهم كسبعة تماثيل عملاقة  
فوق عروشها .. لم ينبس أحدهم ببنت شفة .. ظلوا  
لنقائط طويلة يصفون لصوت حشرات الليل ، ثم في  
النهاية تكلم الأحد .. تكلم بصوت رتيب غريب ، كأنما  
يستكمل محادثة بدأها من قبل :

« سناكل فيما بعد .. فلنبق معاً قليلاً نحن الذين  
أحببنا بعضنا بشكل محزن .. وتحاربنا طويلاً .. كأننا  
تقاتلنا قرونا من الحروب البطولية .. إلياذة وراءها  
إلياذة .. وظللتم أنتم إخوان سلاح طيلة الوقت .. كان  
هذا من دهور حين جلست في مكتبي المظلم وأصدت لكم  
لوامري ، وطلبت منكم قصي درجات للفضيلة والتضحية ..  
وفي الصباح أنكرت أنني أنا وأنكرت أنني طلبت منكم  
أى شيء .. »

« كنتم رجالاً شرفاء وقلوتم ببراعة .. تحول  
العالم كله إلى عجلة تعذيب تحاول انتزاع الشرف  
منكم ، لكنكم تمسكتم به .. »

ساد الصمت في الحديقة ، ثم إن السكرتير الذي  
لا يرضى بشيء ، استدار للأحد وسأله بخشونة :



- « من وما أنت ؟ »

- « أنا الأحد .. أنا ( الساباث )<sup>(\*)</sup> .. »

نهض السكرتير وضم عبايته وقال :

- « مازلت لا أفهم .. لو كنت أنت الرجل في الغرفة المظلمة ، فلماذا اتخذت صورة الأحد الذي يكره الشمس ذاتها ؟ لو كنت أنت من البداية صديقنا فلماذا صرت ألد أعدائنا ؟ لقد بكينا وهربنا هلعاً .. »  
استدار الأحد بوجهه الهائل نحو ( سايم ) كأنما يوجه له سؤالاً ، فقال هذا :

- « لا .. لا أشعر بهذا الغضب .. لقد ظفرنا بمغامرة طيبة ، وإن روحى لتشعر بالسلام الذى تشعر به هذه الأشجار ، لكنى أريد أن أعرف .. روحى تريد أن تعرف .. »

قال البروفسور :

- « أما أنا فليست راضياً .. لقد كنت أهلك مراراً .. »

(\*) الساباث أو السبت عند اليهود سابع أيام الأسبوع ويوم قراحة .

بينما هو عند المسيحيين الأحد وبداية الأسبوع ..

وقال ( جوجول ) ببساطة طفل :

- « ليتنى أفهم لماذا تعذبت كل هذا العذاب .. »

نظر الأحد إلى بعيد ، ثم قال :

- « قد سمعت شكواكم بالترتيب .. ويبدو أن هناك واحداً آخر قادماً ليشتكو بدوره .. »

كانت النيران تحتضرفى موقدها ، لكنها أرسلت شعاعاً أصفر واهناً ، وعلى ضوءه رأوا من بين الأشجار رجلاً مدثراً بالأسود قادماً من بعيد ، وحين دنا أكثر من مجلس السبعة ورفع رأسه ، أدرك ( سايم ) فى ذهول أن هذا وجه صديقه القديم ( جريجورى ) ، بشعره الأحمر وابتسامته المهيبة ..

- « ( جريجورى ) !! » - قال ( سايم ) وهو ينهض

من مقعده - « هذا هو الفوضى الحقيقى فعلاً !! »

قال ( جريجورى ) فى رباطة جأش غير عادية :

- « نعم .. أنا هو الفوضى الحقيقى فعلاً !! »



ونظر حوله وهتف :

- « أنا مدمر .. سأدمر الكون نفسه لو استطعت .. »

قال ( سايم ) فى رهبة :

- « يا أكثر للرجال تعاسة .. حاول أن تكون سعيدًا ..

إن شعرك أحمر كشعر أختك »

- « شعري الأحمر هو نار ستحرق العالم .. قد حسبت

أننى بلغت النهاية فى كراهية كل شيء ، ثم أدركت

أننى لا أكره شيئًا مثلما أكرهك أنت ! »

قال ( سايم ) فى حزن :

- « أنا لم أكرهك قط .. »

زار ( جريجورى ) صائحا :

- « أنت لم تكره أحدًا لأنك لم تعيش ! أنا أعرفكم

معشر القوم ، بثيابكم الزرقاء محكمة الأزرار

تحشرون فيها أجسادكم للبدينة .. أنتم الشرطة ! أنتم

اللقانون ! لكن ألا ينتمى كل امرئ حتى أن يحطمكم ويتحرر

من قواعدكم السخيفة ؟ نحن الثوار نتحدث عن تلك

الجريمة وتلك من جرائم الحكومة .. هراء ! الجريمة الكبرى

للحكومات هى أنها تحكم !! للخطأ الذى لا يغتفر للقوة هو

أنها قوة .. أنا لا أشتكم لأنكم قساة بل أشتكم لأنكم

فى أمان ! أنتم تتظاهرون بأنكم سبعة ملائكة ، ولم

تواجهوا أية مشاكل أو مخاطر .. فقط سأسامحكم لو

عرفت أن واحدًا منكم فقط تعذب كما تعذبت أنا ! »

وثب ( سايم ) واقفا يرتجف من قمة رأسه إلى

أخمص قدمه .. وصاح :

- « أرى كل شيء .. لماذا يحارب كل شيء على

ظهر الأرض كل شيء آخر ؟ لماذا يحارب كل شيء

صغير على ظهر الأرض العالم بأسره ؟ فقط بالآلم

والدموع يمكننا أن نظفر بالحق ، فى أن نقول لهذا

الرجل المائل أمامكم : لقد تعذبنا مثلك .. وهكذا تتردد

أكاذيب الشيطان إلى نحره .. إننى أرفع عنا التهمة ..

كلا لم نكن رجالاً سعداء ، ولم نكن آمنين .. لقد

تحطمتنا مرارًا من قبل .. »



واستدار ليواجه عيني الأحد الذي كان يتسم بهتامة  
غريبة ، وسأله :

- « هل تعذبت حقاً من قبل ؟ »

وإذا بالوجه يتضخم ويتضخم ، حتى ليفوق حجم  
تمثال ( ممنون ) .. ثم اصطبغ كل شيء بالسواد ..  
فقط قبل أن يغوص تماماً فيه سمع صوتاً مألوفاً  
يقول عبارة شائعة :

- « هل تستطيع الشرب من الكوب الذي أشرب فيه ؟ »

\*\*\*

في القصص ، حين يصحو الرجال من الحلم ،  
فإنهم يجدون أنفسهم في المكان الذي ناموا فيه ..  
يتساءلون وينهضون ..

كان ما حدث لـ ( مسليم ) أكثر غرابة .. إن كان  
حقاً هناك شيء غير حقيقي في كل ما مر به ..

برغم أنه سيظل يذكر أنه فقد الوعي أمام الأحد ،  
لكن ما يظلب على ذاكرته هو أنه كان يمشي في طريق  
رفيقي هادئ مع صديق غريب الأطوار .. كان هذا  
الرفيق جزءاً من الدراما الحالية ، وهو الشاعر أحمر

الشعر ( جريجوري ) .. كلنا يتناقشان في موضوع ما  
تافه ، حين شعر ( مسليم ) بأن جسده تملكه خفة  
غير مفهومة وثمة نوع من الشفافية البلورية  
الغريبة في ذهنه .. بعدها لا يذكر شيئاً ..

كان الفجر داتياً بألوان وديعة حنون ، كأنما الطبيعة  
جربت أولاً الرسم باللون الأصفر ثم حاولت بعدها  
الرسم باللون الوردى ..

هب نسيم نظيف عذب كأنما لم يأت من السماء .. بل  
كأنما جاء من بوابة في السماء .. وقتلته الدهشة حين  
رأى في كل صوب من حوله تلك المباني الحمراء المميزة  
لحديقة الزعفران .. مشى بالسليقة في طريق أبيض تتوالت  
عليه الطيور وتغرد ، حتى وجد نفسه خارج سور الحديقة ..

هناك رأى أخت ( جريجوري ) .. الفتاة ذات الشعر  
الأحمر .. تقتطف زهور الليلك قبل الإفطار ، بكل وقار  
الأنثى اللاشعوري .

جليبرت كيث تشسترتون

( 1908 )





## الرجل الذي كان الخميس

من العسير تصنيف قصة تشستر تون الشهيرة (الرجل الذي كان الخميس). هناك من قروها كقصة بوليسية مفعمة بالغموض والتشويق، وكانوا محققين في ذلك. وهناك من قروها كرواية فلسفية تناقش مذهب الفوضوية وتدحضه. ولم يجانبهم الصواب في ذلك. وهناك من وجدوا فيها خلفية جدلية شديدة التعقيد مفعمة بالرموز. وهم على الأرجح محقرون.

(تشستر تون) كاتب مثير للجدل، لكنه -كذلك- ممتع بحق، ولنسوف ترى الرأي ذاته بعد قراءة هذه الرواية الشائقة.

40